كتب قومية



محمد حسنين هيكل



يا صاحب الجلالة

كتب قومية

يا صاحب الجلالة

محمد حسنين هيكل

مقدمة

لا أظننى أبالغ لو قلت أن صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود هو الذى أغرانى أن أترك هذه المجموعة من الخطابات الموجهة الى جلالته تنشر فى شكل كتاب .

ان الحرب التى يشنها جلالته بعصبية وضيق صدر على ما ينشر لى مكتوبا على صفحات ((الأهرام)) ، أو ما يذاع من اذاعات الجمهورية العربية المتحدة منقولا عن ((الأهرام)) ـ هى السبب الأول والأخير فى ظهور هذا الكتاب ـ وأنا بالتجاوز أسميه كتاباً .!

وفى الواقع أن الخطابات الستة التى تضمها هذه الصفحات ـ موجهة الى صاحب الجلالة ـ نشرت فى الأهرام على مجموعتين ، تتباعد الأيام فيما بينهما ما يقرب من أربعة أعوام ، وتتباعد الظروف أيضا والملابسات .

والقسم الأول الذى يضم خطابين الى صاحب الجلالة ، كتب فى بداية سنة ١٩٥٨ ، عقب فضيحة محاولة الملك رشوة السيد عبد الحميد السراج لكى يقوم بانقلاب على الوحـــدة ويضع قنبلة فى طائرة جمـــال عبد الناصر العائدة به من دمشق الى القاهرة بعد زيارته الأولى لسوريا ـ وكان مبلغ الرشوة ـ كما يذكر النـــاس جميعاً ـ مليوني جنيه استرليني أعطاها الملك شيكات لعبد الحميـــد السراج ، وقدمهـــا السراج لرئيس الجمهورية العربية المتحدة ، وحولها الرئيس لحساب مشروعات التصنيع فى سوريا .!

والقسم الثانى يضم ثلاثة خطابات الى صاحب الجلالة ، وقد كتب فى نهاية سنة ١٩٦١ عقب فضيحة أخرى ـ وأكاد أقول خيانة ـ قام بها الملك ـ اذ دفع ســـبعة ملايين جنيه استرلينى أشـــارت اليها تحقيقات رسمية جرت فى سوريا بعد الانفصال ـ وكان دفعها استطرادا مع كراهية الملك لتجربة الوحدة الأولى من أول يوم لها حتى اليوم الأخير ، فقد كان غرض الملك ـ وهو غرض جميع أعداء حركة القومية العربية ـ هو ضرب التجربة وايقاع الانفصال .!

ثم جاء بعد ذلك خطاب وحيد وأخير بعد ثورة اليمن ونجاحها وبعد محاولة الملك الجنونية لضربها وفشل المحاولة .

ولعل اختلاف الزمن ، واختلاف الظروف والملابســـات هو الذى يجعل اختلافاً ـ بين المجموعة الأولى من الخطابات وبين المجموعة الثانية ـ فى معيار الحديث ورنينه .!

ومنذ ظهر أول خطاب من هذه المجموعة الموجهة الى صاحب الجلالة أتيح لى أن أعرف صداها لديه ، وقد رواه لى بنفسه الشيخ يوسف ياسين مستشار الملك ـ يرحمه الله .

ولقد روى لى الشيخ يوسف ياسين مرة بعدها أن الملك طلب عدد الأهرام الذى نشر فيه أول خطاب ، ثم طلب من الشيخ يوسف ياسين أن يقرأ له فقد كان ــ وما يزال ــ بعينى الملك ضعف يحجب الرؤية عنهما .

وحاول الشيخ يوسف ياسين أن يثنى الملك عن سماع الخطاب حتى لا يعكر الملك دمه ــ على حد تعبيره ــ لكن الملك أصر على أن يسمع .

وسمع الملك الفقرة الأولى من أول خطاب ، وأعصاب وجهه كلها تلعب دون سيطرة منه تمكنه من التحكم فى حركاتها ، وفجاة صرخ الملك :

ــ توقف .!

وطوى الشيخ يوسف ياسين عدد الأهرام وقال الملك أنه يطلب احراق كل نسخة من الأهرام فى السعودية والقبض على حاملها واعدامه باعتبار أن ما كتبته فيها منشورات موجهة ضد جلالته تدفع الى الثورة وتحض عليها .

ومن يومها كان .!

ولقد روى مؤلف كتاب ((التيارات الأدبية فى الجزيرة العربية)) أن نسخة الاهرام التى كانت تحمل واحدا من هذه الخطابات الى الملك كانت تباع فى السعودية بمائة جنيه .

وادارة الأهرام ما زالت تحس بشطارة واحد من تجار السعودية مر بها بعد الضجة التى أثارتها الخطابات واشترى مائة نسخة من الأهرام دفع فيها هنا جنيها واحدا ، ثم تولى التاجر بشطارته تهريبها الى السعودية وباع النسخة بمائة جنيه ، أى أنه ربح فى العملية ٩٩٩٩ جنيهاً .

ولكن اذاعات القاهرة أفسدت الفرصة بعض الشىء على شطارة التجار فقد كانت تذيع ما أكتب ، ومع ذلك فان الملك لم ييأس وراح كما تقول الأخبار يحرض جمعية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يسمونها فى السعودية أو الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف كما أسميها أنا ــ على أن تمنع الناس من الاقتراب من أجهزة الراديو مساء يوم الجمعة لكى لا يسمعوا .

وقال لى أحد الأمراء السعوديين أن الملك سمعه مرة يستشهد فى حديث له معه ببعض ما كتبت ، واذا الملك يستحلف الأمير ، ويستحلف كل الأمراء أن لا يقرأوا ما أكتب ولا يسمعوه ، ويأخذ عليهم العهد والميثاق ويصل الى حد أن يطلب منهم أن يحلفوا أمامه بالطلاق .!

وصل الحال مرة الى حد أننى فوجئت صباح يوم من الأيام ببرقية على مكتبى من سيد كان مارا بجدة فى طائرة قادمة من العراق .. واذا هم يقبضون عليه فى جدة بلا سبب الا أن لاسمه شبها باسمى ، وطلب السيد منى أن أبعث له بشهادة أقر فيها واعترف أنه ليس قريبا لى ولو من بعيد .!

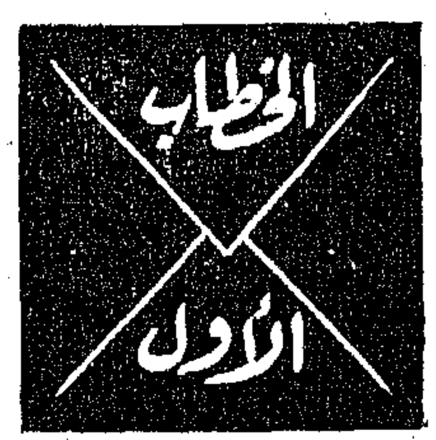
ذلك كله كان في ذهني عندما جاءني اقتراح اخراج هذه المجموعة من الخطابات على شكل كتاب .!

قلت لنفسي : فرصة أخرى لنشرها .!

وقلت : وفرصة أخرى لها كمجموعة واحدة تصل كلهـــــا الى من يريدها مرة واحدة .!

وقلت : وفرصة أخرى لأعصاب الملك ، لقد وجدها مرة على صفحات جريدة ، وعبرت الهواء فوق حدوده كلمات مذاعة ، وها هي اليوم مرة ثالثة بين يديه ، في دفتي كتاب .!

وتحية .. وسلاماً ، يا صاحب الجلالة .!!



٨ مارس ١٩٥٨

هـــذه الوقائع والوثائق يستحيل انكارها ـــ البنك الذى سحب عندك فى الرياض ، والبنك الذى دفع عندهم فى لندن ـــ هذه الاسرار كلها لم تعد سرا ـــ من هم أعضاء اللجنة التى أمر الملك سعود بتشكيلها لتحقيق المؤامرة

يا صاحب الجلالة

هذا القلم تمرد على مديحك ، يوم كانت الاقلام ـ حتى أكبر الاقلام ـ تتكسر ـ قلماً بعد قلم ـ ساجدة أمام الجبروت الذى تلين أمامه كل صلابة، وتنهار تحت ضغطه كل مقاومة !

ولكن هذا القلم ـ يا صاحب الجلالة ـ على استعداد لأن يقف معك اليوم ـ يوم تتلفت من حولك ، فلا تجد قلماً واحدا بالقرب منك يستطيع أن يصلب عوده ويخط كلمة فى الدفاع عنك

ان الاقلام التى تكسرت مرة ـ يا صاحب الجلالة ـ تكسرت الى الابد !

ولكن هناك شرطا واحدا ـ يا صاحب الجلالة ـ نطلبه للوقوف معك ..

هو : أن تكون أنت نفسك على استعداد لأن تقف مع نفسك !

***

هذه مقدمة يا صاحب الجلالة كان لا بد منها قبل أن نستطرد الى موضوع هذا الحديث .

وموضوع هذا الحديث ، يا صاحب الجلالة ـ هو هذه المؤامرة ـ **المفجعة** ـ وهذا هو الوصف الوحيد لها يا صاحب الجلالة، فان الخطورة فى المؤامرة ، والرهبة فى المؤامرة ، تتلاشى كلها ، جميعها ، أمام الفجيعة فيها ..

أنت تسلم ـ يا صاحب الجلالة ـ بأن كل حرف أذيع من دمشق صحيح .

باسمك ـ ياصاحب الجلالة ـ جرت محاولة لتحطيم أمل شعبين، انعقد الرجاء بينهما على الوحدة

وباسمك ـ يا صاحب الجلالة ـ **عرض الوسطاء** ـ والوسطاء يا صاحب الجلالة ـ وانها لمأساة تحرق وتمزق ـ **هم أهل بيتك وأقرب الناس الى قلبك** ـ عرضوا على المقدم عبد الحميد السراج مبلغ ٢٢ مليون جنيه استرلينى حتى يقوم بانقلاب ليلة الاستفتاء يحول دون اتمام الوحدة

وباسمك ـ يا صاحب الجلالة ـ قدمت لعبد الحميد السراج ـ هذا الشاب الوطنى ـ ثلاثة شيكات .

أولها شيك رقم ٨٥٩٠٢/٥٢ مسحوب من البنك العربى فى الرياض بمبلغ مليون جنيه استرلينى ـ على بنك ميدلاند ـ أكبر بنوك انجلترا التجارية وأشهرها .

وثانيها شيك رقم ٨٥٩٠٣/٥٨ مسحوب من البنك العربى فى الرياض بمبلغ ٧٠٠ ألف جنيه استرلينى ـ على بنك ميدلاند ـ اكبر بنوك انجلترا وأشهرها

وثالثها شيك رقم ٨٥٩٠٤/٥٩ مسحوب من البنك العربى فى الرياض بمبلغ ٢٠٠ ألف جنيه استرلينى ـ على بنك ميدلاند ـ أكبر بنوك انجلترا التجارية وأشهرها .

وكانت هذه الشيكات كلها « لحامله »

وقد أودعت هذه الشيكات كلها لحساب المقدم عبد الحميد السراج فى فرع البنك العربى بدمشق .

وباسمك ـ يا صاحب الجلالة ـ عرض الوسطاء .. نفس الوسطاء .. على المقدم عبد الحميد السراج مبلغ ٢٥٠ ألف جنيه استرلينى أخرى لكى يضع شيئا ـ **شيئا متفجرا مدمرا** ـ فى الطائرة التى يسافر بها جمال عبد الناصر ـ أمل هذه الامة العربية ، وجنديها المخلص ، وحارسها ، وقائدها ، وأنت ـ أول من يعرف هذه الحقيقة يا صاحب الجلالة رغم كل شىء قد يصوره لك هؤلاء الذين من حولك ، هؤلاء الذين تملكوا آذانك وراحوا يصبون فيها همساتهم المسمومة !

باسمك ـ يا صاحب الجلالة ـ كان هذا كله .

وباسم الله ـ يا صاحب الجلالة ـ **فشل هذا كله** ، وارتفعت يد العناية الالهية فوق كل يد فانتصر الشرف على الشر ، وانتصرت المبادىء على بريق الذهب .

ذلك كله صحيح ـ يا صاحب الجلالة ..

كل تفصيل فيه ، كل كلمة ، كل حرف

الشيكات موجودة

فرع البنك العربى ، الذى سحبها فى الرياض ، **عندك فى الرياض** ، فى عاصمة ملكك يا صاحب الجلالة

وبنك ميدلاند ـ الذى كان السحب عليه ـ هو أكبر بنوك انجلترا التجارية ، وهو هناك ما زال حيث هو فى لندن ، حيث لا سلطان للقاهره أو لدمشق

واذن يا صاحب الجلالة لا سبيل الى انكار ، ولا مهرب الى النفى أو التكذيب

وعلى أى حال فانك لم تنكر ، ولم تنف ، ولم تكذب ، حتى الآن ياصاحب الجلالة وانما قال البيان الذى صدر رسميا وأذيع أمس فى جدة ما نصه :

« لقد أمر جلالة الملك فى الحال أن تشكل لجنة عليا للتحقيق فى هذا الامر لاظهار معمياته ومقاصده ، وستنشر الحكومة هذا التحقيق فور الانتهاء منه »

وحسنا فعلت يا صاحب الجلالة

هذا الذى فعلته هو عين العقل . ازاء الادلة القائمة عندك فى الرياض، والقائمة عندهم فى لندن .

***

ودعنا نتكلم بصراحة يا صاحب الجلالة فذلك أوانها . وهذا وقتها

ان الفجيعة الاخيرة . **لم تكن البداية** . وانما هى يا صاحب الجلالة **نهاية طريق طويل** بدأت السير عليه فى مثل هذه الايام من العام الماضى . بعد أن أحاط بك نفر من مرتزقة المستشارين يصورون لك الامر على هواهم . وكان هواهم — يا صاحب الجلالة — من هوى الشيطان

ان الذى تظنه سرا ياصاحب الجلالة لم يعد سرا .

● لم يعد سرا — ولم يكن طوال العام الماضى سرا — انهم **دفعوك** يا صاحب الجلالة الى أن تبتعد عن **أصدقائك القدامى** ، الذين حملوك فوق رؤوسهم وقدموك على أنفسهم ، وجعلوا منك — رغم ظلامات القرون الوسطى التى تتكاثف من حولك — قائدا وزعيما يمضى بهم ومعهم فى موكب القومية العربية الى النور الجديد .

صوروا لك يا صاحب الجلالة أن الموكب تفرق أشتاتا . وتشرد شراذم لا تقوى على شىء

صوروا لك يا صاحب الجلالة انه خير لك **أن تهرب** من جانب مصر قبل أن يتم **عزل مصر** وتعزل أنت أيضا مع مصر
يا صاحب الجلالة — **هى نصيبك من الغنيمة** .

. هكذا يا صاحب الجلالة تباعدت ، وهذا حقك اذا كنت رأيت فيه سلامتك

ولكن الذى ليس حقك يا صاحب الجلالة هو أن تحاك المؤامرات باسمك ، وتدبر جرائم القتل ، قتل الافراد وقتل الشعوب . فى سراديب
وصوروا لك يا صاحب الجلالة ما هو أكثر من هذا — صوروا أن زعامة العالم الاسلامى لك ، وحقك . أو ولنسم الاشياء بأسمائها قصرك ، وتصدر بها الاوامر والتعليمات **على أوراق مكتبك الخاص**
أن الذى تظنه سرا — يا صاحب الجلالة — لم يعد سرا
لكى تعرف يا صاحب الجلالة أنه لم يعد فى كل ما جرى سر . أو شبه سر ، سأروى لك أكبر أسرارك .. ذلك الذى تظن أن علمه لم يصل الى أحد ، ونبأه لم يتسرب الى مخلوق
ما الذى جرى فى **اتفاقية قاعدة الظهران** يا صاحب الجلالة ؟!
هذا هو ما حدث ، **وأنا أقبل قسمك** ، اذا وقفت أمام الكعبة ، فى قداسة بيت الله الحرام ، وأقسمت انه غير صحيح

لقد كانت هناك مفاوضات فى العام الماضى بتجديد اتفاقية قاعدة الظهران

وكان رئيس وزرائك ، وولى عهدك ، الامير فيصل يفاوض باسمك للوصول الى اتفاقية يوقعها مع الحكومة الامريكية

ووصل الامير فيصل الى اتفاقية تقوم على أساسين :

أولهما : أن تدفع الحكومة الامريكية مبلغ ٥٠٠ مليون دولار ، ايجارا للقاعدة فى خمس سنوات ، بواقع ١٠٠ مليون دولار كل سنة

ثانيهما : أن يكون استعمال القاعدة مقصورا على تسهيل نزول الطائرات الامريكية وصعودها وتموينها وصيانتها وأن تكون مهمتها مقصورة على الاغراض المدنية وحدها .

ثم اقترح السفير الامريكى بعدها أن يكون دفع الايجار السنوى للقاعدة وقدره ١٠٠ مليون دولار على النحو التالى :

٥٠ مليون دولار تدفع نقدا كل عام

٥٠ مليون دولار تدفع على شكل أسلحة للجيش السعودى

ودرس الامير فيصل هذا العرض ثم رأى أن يصر — فى مفاوضته مع السفير الامريكى — على ضرورة دفع المبلغ كله نقدا

ولجأ السفير الامريكى الى الملك — اليك مباشرة — يا صاحب الجلالة — **فصدر أمرك الملكى بالقبول**

ثم جاءت شروط التسليح على النحو التالى :

١ — أن يكون تحديد نوع السلاح بمعرفة السلطات العسكرية الامريكية

٢ — أن لا تستعمل فى أغراض حربية ضد اسرائيل

٣ — أن تتولى بعثة أمريكية عسكرية توزيع هذا السلاح ، وتنظيم التدريب عليه ، وتحديد أماكن تجمعه

وتردد الامير فيصل — رئيس وزرائك وولى عهدك وشقيقك — فى قبول هذه الشروط يا صاحب الجلالة

تردد خوفا — يا صاحب الجلالة — لا شرفا .

ثم كانت زيارتك الرسمية لامريكا

وكان اتفاق القاعدة الذى توصلت اليه

وهذا هو الاتفاق يا صاحب الجلالة :

١ — ايجار القاعدة فى السنوات الخمس هو : ٥٠٠ مليون دولار

٢ — تقدم ٢٥٠ مليون دولار منها ، منحة خاصة لجلالتك

٣ — باقى المبلغ ، وهو ٢٥٠ مليون دولار بواقع ٥٠ مليون دولار كل سنة تصرف كما يلى :

٥ ملايين دولار تدفع للحكومة السعودية

٤٥ مليون دولار ترصد للانفاق على البعثة العسكرية الامريكية وعلى شراء الاسلحة التى ترى شراءها

هذه هى شروط الاتفاق المالية

تبقى شروطه السياسية وهى ثلاثة أيضا يا صاحب الجلالة :

١ ــ أن لا يستعمل السلاح الامريكى ضد اسرائيل

٢ ــ أن تدار القاعدة بمعرفة السلطات الامريكية تستعملها كما تشاء

والسلطات الامريكية تستعملها اليوم مخزنا للقنابل الذرية وتقوم منها يا صاحب الجلالة دوريات القنابل الهيدروجينية كل يوم تطوف آفاق الشرق الاوسط

٣ ــ ان تتعهد الحكومة الامريكية بحماية العرش السعودى ضد أى خطر يهدده من الخارج أو من الداخل

هذا هو السر الذى لم يعد سرا يا صاحب الجلالة وبقيت قصة سفرك المفاجىء الغامض الى بادن بادن ، هذا السفر الذى قيل فى تبريره كل الاسباب ، الا السبب الوحيد ... السبب الحقيقى !

لقد سألتك السلطات الامريكية يا صاحب الجلالة :

كيف ترى أن يتم التصرف فى نصيبك من الاتفاقية ؟

ورأيت جلالتك أن يدفع المبلغ وقدره ٢٥٠ مليون دولار لحسابك فى المانيا الغربية

وقال مدير البنك الالمانى :

ان هذا المبلغ ، مبلغ ضخم ، لا عهد للبنك به فى المعاملات الشخصية غير التجارية ، الا فى الحسابات المقيمة باسم الحكومات ، ومن ثم فانه من الضرورى أن يحصل البنك على خطاب من وزير المالية السعودية وذلك حتى يتم الايداع وفقا للاجراءات القانونية والمالية

وضغط الملك على وزير ماليته فأرسل ذلك الخطاب للبنك ولكن المسئولين فيه عادوا وطلبوا توقيع الملك شخصيا ــ توقيعك ــ يا صاحب الجلالة أمام خبراء التوقيعات فى البنك

هكذا كانت سفرة بادن بادن

سفرة ألمانيا الغربية ــ يا صاحب الجلالة

***

تلك كلها أسرار لم تعد أسرارا ياصاحب الجلالة

كلها كانت خطوات فى الطريق الطويل الذى سرت عليه طوال العام الاخير ثم كانت النهاية مأساة المؤامرة الاخيرة ، أو فجيعتها بتعبير أدق !

ويقول البيان الذى أذيع أمس فى جدة ما نصه يا صاحب الجلالة :

« لقد أمر جلالة الملك فى الحال أن تشكل لجنة عليا للتحقيق

فى هذا الامر لاظهار معمياته ومقاصده ، وستنشر الحكومة هـذا التحقيق فور الانتهاء منه »

ومن هم أعضاء لجنة التحقيق يا صاحب الجلالة ؟

هل هم هؤلاء المستشارون الذين أحاطوا بك خلال الفترة الاخيرة ودفعوك الى هذا الطريق الموحش ؟

من هم ؟

هل بينهم مثلا **جمال الحسينى**

هذا السيد الذى ذهب منذ شـهور فى مهمة سياسية لدى ملك اليمن فحمل معه هدية الى الامام أحمد هي ، فتاة شابة ، اشتريت شراء ، أقول شراء وأنا أعرف ما أقول ، من سوق الرقيق فى لبنان ؟

هل هذا السيد أحد أعضاء هذه اللجنة يا صاحب الجلالة ؟ !

أم هل بين أعضائها يا صاحب الجلالة ، هذا الطفل المراهق . الذى يحكم اليوم من عمان والذى بعث اليك أمس برقية يقول لك فيها

« اتق شر من أحسنت اليه »

وأنت يا صاحب الجـلالة أول من يدرك أن علاقتـك بهذا البلد — مصر — لم تصل الى مرتبة الاحسان .

لعدة أسباب **أولها :**

أن مصر يا صاحب الجلالة أغنى منك فدخلها القومى هو ألف مليون جنيه فى السنة الواحدة .

وثانيها : يا صاحب الجلالة — وكان يجب أن يكون أولها — هو أن ذلك لم يحدث ، ولقد قدمت لمصر فى أزمتها فعلا بعض ملايين الدولارات وكان ذلك شراء ياصاحب الجلالة ، **كان شراء بالجنيه المصرى ،** وبخصم قدره ٧ فى المائة على قيمة الجنيه أى ما كان يساوى سعره فى السوق الحرة ، زيوريخ أو جنيف

لم يكن هناك احسان اذن ، ولم نكن بالنسبة لنا محسنا

وانما كنت لنا صديقا ، وكنا نعتز ونفخر بصداقتك .

ولكن طفل عمان المراهق يحسب الامور بمقاييسه ويزن المسائل بمدى ما تصل اليه تجاربه . وهى قصة معروفة ، وتفاصيلها هى الاخرى لم تعد سرا ، **ولولا الحرص على أعراض لا تحرص هى على نفسها** لكانت قصصا شيقة مخزية فى نفس الوقت .

***

ياصاحب الجلالة

نحن ، نحن المواطنين العرب ، فى هذه الجمهورية العربية ، نقبل لجنة تحقيق من غير هؤلاء .

نقبلها من العقلاء **من آل بيتك** . من الذين يحرصون عليك . من الذين يهمهم أمرك ، من الذين أخلصوا لك النصح وما زالوا يخلصون

ولسوف نتقبل يا صاحب الجلالة ما تقوله هذه اللجنة

سوف نتقبل منها أى شيء تقوله يا صاحب الجلالة .

لو قالت انه لم يكن لك بما جرى علم .. **سوف نتقبل قولها**

لو قالت ان الشيكات أعطيت من غير اذنك .. **سوف نتقبل قولها**

لو قالت ان تعليمات المؤامرة صدرت على أوراق مكتبك الخاص ، من وراء ظهرك .. **سوف نتقبل قولها**

لو قالت ان كل هذا الذى جرى فى المؤامرة والذى جرى قبل المؤامرة . بما فى ذلك كل ما أحاط باتفاقية قاعدة الظهران ، تم بعيدا عنك . وأن مستشاريك هم السبب وان العقاب العادل سوف يحل بهم .. **سوف نتقبل قولها**

سوف نصدق يا صاحب الجلالة ...

لماذا ؟!

لاننا نريد أن نصدق

لانك يا صاحب الجلالة ، كنت يوما صديقا لنا وكانت صداقتك موضع فخرنا واعتزازنا .

وتقاليد العرب ـ يا صاحب الجلالة ـ نكره أول ما تكره ، شيئا واحدا هو :

« الغدر »

أجل ـ يا صاحب الجلالة ـ سوف نصدق ، لاننا نريد أن نصدق وسوف ننسى ، لاننا نتمنى ـ بقلوبنا مخلصين ـ لو أن هذه الصفحة لم تكن فى حياتنا ، لو أن هذا اليوم ـ يوم المؤامرة ـ لم يكن من أيامنا .

***

وفى قلبى دموع ، وفى عينى دموع . وأنا أكتب هذه السطور .. صدقنى .. يا صاحب الجلالة ! !



١٢ مارس ١٩٥٨

أين هى لجنة التحقيق ــ اللقاء الاول بين عبدالناصر وسعود وماذا دار فيه ؟ ــ لماذا سافر عبد الحكيم عامر وأنور السادات وعلى صبرى الى الرياض ــ ماذا قال جمال عبد الناصر لكبير المستشارين وماذا قال للأمير فيصل ؟ ــ كان جمال عبد الناصر يستعد ليركب طائرة الى الرياض فى نفس الوقت الذى كانت فيهالرياض تريد أن تدمر طائرة يركبها عبد الناصر !

يا صاحب الجلالة

منذ خمسة أيام ـ بالعدد ـ كانت لى هنا على هذه الصفحة فرصة الحديث اليك عن هذه المؤامرة المفجعة ضد أمل شعبين ، وضـــد حياة قائدهما .

هذه المؤامرة التى دبرت تفاصيلها ، ورتبت دقائقهـا ، باســمك يا صاحب الجلالة

وكما يتعلق الفـريق ـ غريق بحر الأسى والالم ـ بعود قش طاف على سطح الموج ،تعلقت وتعلق غيرى من ملايين العرب بهذا البلاغ الذى أصدرته حكومتك فى الرياض والذى جاء فيه :

((لقد أمر جلالة الملك فى الحال أن تشكل لجنة عليا للتحقيق فى هذا الامر لاظهار معمياته ومقاصده ، وستنشر الحكومة هذا التحقيق فور الانتهاء منه))

تعلقت يا صاحب الجلالة ـ تعلقنا جميعا ـ بهذا العود من القش.

وقلت ـ قلنا جميعا نحن المـــواطنين العـــرب : « اننا نقبل هـــذه اللجنة للتحقيق))

وقلت ـ قلنا جميعا : ((نقبلها من العقلاء من آل بيتك ، من الذين يحرصون عليك ، من الذين يهمهم أمرك ، من الذين أخلصوا لك النصح وما زالوا يخلصون))

وقلت ـ قلنا جميعا : ((ولسوف نتقبل يا صاحب الجلالة ماتقوله هذه اللجنة))

سوف نتقبل منها أى شىء تقوله يا صاحب الجلالة

لو قالت انه لم يكن لك بما جرى علم .. سوف نتقبل قولها

لو قالت ان الشيكات أعطيت من غير اذنك .. سوف نتقبل قولها

لو قالت أن تعليمات المؤامرة صدرت على أوراق مكتبك الخاص ، من وراء ظهرك .. سوف نتقبل قولها

لو قالت أن كل هـــذا الذى جرى فى المؤامرة والذى جرى قبل المؤامرة بما فى ذلك كل ما أحاط باتفاقية قاعـــدة الظهران ، تم بعيدا عنك ، وأن مستشاريك هم السبب ، وأن العقاب العادل سوف يحل بهم ... سوف نتقبل قولها

سوف نصدق يا صاحب الجلالة ...

لماذا ؟

لاننا نريد ان نصدق

لانك يا صاحب الجلالة ، كنت يوما صديقا لنا ، وكانت صداقتك موضع فخرنا **واعتزازنا** .

وسوف ننسى — يا صاحب الجلالة — لاننا نتمنى — بقلوب مخلصين — لو أن هذه الصفحة لم تكن فى حياتنا ، لو أن هذا اليوم — يوم المؤامرة — لم يكن من أيامنا .

قلت هذا — يا صلاحب الجلالة — قلناه جميعا

قلناه بدموع القلب ودموع العين ..

ومرت خمسة أيام يا صاحب الجلالة .

***

مرت خمسة أيام — يا صاحب الجلالة — ولا حس من الرياض ولا خبر

لا لجنة التحقيق تألفت

ولا أعضاؤها تم تعيينهم

ولا مهمتها تحددت لها

والامر — يا صاحب الجلالة — صدقنا ، ليس أمر سياسة فحسب. وليس أمر مؤامرة فحسب ، وانما الامر قبل هذا كله : **مأساة ضمير** .

ليس المهم فى المسألة كلها — يا صاحب الجلالة — انك أردت أن **تمنع وحدة مصر وسوريا** ، وليس المهم يا **صاحب الجلالة انك أردت** أن **تنفجر طائرة جمال عبد الناصر** وهى معلقة به بين السماء والارض ، وليس المهم يا صاحب الجلالة انهم **من أجل تحقيق هاتين الارادتين** — من ارادات جلالتك السامية — **عرضوا باسمك على عبد الحميد** السراج :

٢ مليون جنيه مقدما

٢٠ مليون جنيه مؤخرا

دفعوا من المقدم فعلا مليونا وتسعمائةألف جنيه ، بشيكاتمسحوبة من فرع البنك العربى فى الرياض ، فى عاصمة ملكك — على بنك « ميدلاند » فى لندن عاصمة الذين سلبوك واحة البوريمى ، والقوا بهيبتك على رمال الصحراء !

ليس هذا هو المهم فى المسألة كلها ، مع أن هذا كله مروع ومخيف ، وانما المهم يا صاحب الجلالة هو :

لماذا فعلتها .. وكيف أقدمت عليها ؟

كيف طاوعك الضمير ، كيف طاوعك الشرف . كيف طاوعتك تقاليد العرب .. كيف طاوعتك هذه كلها أنت — يا صاحب الجلالة — يا من كنا نسميه حامى الحرمين .. حارس بيت الله المقدس ! ؟

***

لقد كنت يا صـــاحب الجلالة — تعرف أمانى العرب .. وكنت تسميها **أمانيك**

وكنت يا صاحب الجلالة — تعرف الرجل الذى تصـدى لتحقيق هذه الامانى — وكنت — يا صاحب الجلالة — تسميه — **صديقك**

فما الذى جرى للأمانى . وما الذى جرى للصديق ؟

لقد التقيتم — يا صاحب الجلالة — انت وهو والامانى . فى موسم حج سنة ١٩٥٤

وكان كلاكما يا صاحب الجلالة — **انت وهو** — قد تولى زمام الامر فى بلده منذ عهدقريب .

ووضع أمامك — يا صـــاحب الجلالة — **أفــكاره** وقلت أنت — يا صاحب الجلالة — انها نفس **أفكارك**

ومن يومها حاول دائما أن يكون لك — يا صاحب الجلالة — صديقا أمينا ومخلصا

***

ان كنت — يا صاحب الجلالة — نسيت دعنا نذكرك !

فى أول لقاء بينكما ، بعد أن انتهى حديث السياسة . قال لجلالتك انه يريدك **لحديث خاص** ، لا يسمعه الا **أنت وهو**

ودخلتما ياصاحب الجلالة ، قاعة مكتبك فى القصر الملكى فى جدة ، واذا هو يقول لك ما ملخصه ومؤداه :

« انه يريد أن يصارحك ..

أن الناس يتحدثون عن كثرة ما تبنى من قصور

ان دخل البترول يضيع فيما لا طائل وراءه

والتقدم العلمى كله يشير الى أن البترول سيفقد قيمته كمصــدر للطاقة بعد أن تحل القوة الذرية محله — على مدى عشرين أو ثلاثين سنة

وانه — لذلك — لابد فى هذه الفترة أن يعـــاد بناء المملكة العربية السعودية من دخل البترول . بناء سليما يقوم على دعائم متينة

بذلك تصبح فائدة البترول للشعب الذى تفجر البترول فى أرضه خالدة »

ويومها ــ يا صاحب الجلالة ــ سألته :

ــ بماذا تشير على ؟

ويومها ــ يا صاحب الجلالة ــ قال لك :

ــ بدل القصور .. اتجه الى بناء المصانع والمدارس والمستشفيات

وهززت رأسك يا صاحب الجلالة ، فقال لك :

ــ لعل جلالتك لا تضيق من صراحتى !

ولحظتها ــ يا صاحب الجلالة ــ أمسكت بيده ، وخرجت معه من المكتب ــ مكتبك الخاص ، الذى صدرت على أوراقه تعليمات المؤامرة بعد أقل من ٤ سنوات يا صاحب الجـــلالة ــ الى الردهة التى كان ينتظركما فيها الامراء والوزراء ورجال الدولة ورجال الصحافة وقلت يا صاحب الجلالة ، أمامهم جميعا :

ــ هل تعلمون ماذا قال لى أخى ؟

ثم رويت لهم يا صاحب الجـــلالة ما قاله لك أخـــوك ، ثم قلت ــ يا صاحب الجلالة ــ أمام كل هؤلاء :

ــ هذا كلام صديق

ثم أردفت يا صاحب الجلالة ، وأنت تهز رأسك :

ــ صديقك من صدقك ، لا من صدقك .

* * *

تلك كانت « **بداية البداية** » ــ وما كان أعظمها ــ يا صـــاحب الجلالة ولكنها ، لم تدم لسوء الحظ طويلا يا صاحب الجلالة

وما لبثت ، « **بداية النهاية** » أن أطلت برأسها

عقد جمال عبد الناصر صفقة الاسلحة

نادى جمال عبد الناصر بعدم الانحياز

اختط جمال عبد الناصر خطة القوة الايجـــابية حتى فى مواجهة الدول الكبرى

أمم جمال عبد الناصر شركة قناة السويس

ونتيجة هذا كله ــ يا صاحب الجلالة ــ ان الامة العربية كلها ــ راحت تتطلع اليه ، باعتباره « **البطل** » الذى طال انتظارها له

وكانت تلك ــ يا صاحب الجـــلالة ــ فرصة حاولوا أن يثيروا فى قلبك المخاوف ، ويزرعوا فى نفسك الشكوك

ولقد كان اجتماع الدمام فى شهر سبتمبر سنة ١٩٥٦ ــ أول مرة بدا فيها ــ يا صاحب الجلالة ــ أن المخاوف تسللت الى قلبك وأن بذور الشك بدأت تطل بأعوادها الصفراء على مشاعر نفسك

اذا كنت ــ يا صاحب الجلالة ــ نسيت دعنا نذكرك !

لقد كان استقبال جمال عبد الناصر لحظة وصل الى مطار الدمام ــ يا صاحب الجلالة ــ يفوق امكانيات الوصف

وكنت فى انتظاره ــ ياصاحب الجلالة ــ أنت والسيد شكرى القوتلى

وحين نزل جمال عبد الناصر من الطائرة قال له القوتلى : ــ ان الناس هنا ينتظرونك

ثم استطرد الرجل يقول :

ــ لقد وصلت قبلك بساعتين ، وظنوا طائرتى طائرتك ، وتخيلوك القادم فيها وتدافعوا كالموج .. فلما خرجت من الطائرة وظهرت لهم لم يتمالكوا أنفسهم أن يقولوا :

ــ هذا ليس هو

وضحك القوتلى وهو يمسك بيد جمال عبد الناصر يرفعها الى أعلى ويقول ــ هذا هو .. لقد جاءكم الذى كنتم بانتظاره

وكنت أنت ــ يا صاحب الجلالة ــ ساهما واجما .

ولما خرجتم فى السيارة معا كانت الهتافات ــ أكثر الهتافات له.. **لضيفك وصديقك** ــ وكان تعليقك ــ يا صاحب الجلالة ــ حين وصلت بكم السيارة الى قصر الضيافة الملكى فى الدمام ــ على مسمع من جميع الواقفين بباب القصر :

ــ يظهر أن هنا كثيرين من اخواننا المصريين !

ليلتها كانت نذر المخاوف ، والشكوك ، تحيط بتصرفاتك يا صاحب الجلالة

وليلتها كان الصدى ــ يا صاحب الجلالة ــ ان السيد أنور السادات الذى كان يرافق الرئيس جمال عبد الناصر فى رحلته الى الدمام ــ دعانا جميعا ، نحن الصحفيين المصريين الذين كنا نتابع أنباء رحلة الرئيس الى الدمام ، ليبلغنا تعليمات صادرة من الرئيس الينا

كانت التعليمات ــ أقسم لك يا صاحب الجلالة ــ كما يلى بالحرف الواحد .

« ان الرئيس جمال عبد الناصر يطلب منكم :

١ ــ ابراز أن الجماهير كانت متحمسة لجلالة الملك سعود

٢ ــ ان جلالة الملك سعود هو الذى كان يرأس الاجتماعات

٣ ــ ان اسم جلالة الملك سعود يجب أن يسبق أسماء كل المجتمعين فى الدمام .

***

ثم كان العدوان على مصر يا صاحب **الجلالة**

ثم كانت زيارتك للولايات المتحدة الامريكية ، ويا ليتك مازرتها يا صاحب الجلالة

وصوروا لك ـ يا صاحب الجلالة ـ ان العدوان على مصر حطم قواها من جميع النواحي وكسر شوكتها وهيبتها ، وأخمد صوتها ، وشل قدرتها على الحركة

ثم قالوا لك ـ **يا صاحب الجلالة** :

« لقد **انتهى** دور مصر .. ويجب أن يبدأ دورك » .

ثم صوروا لك يا صاحب الجلالة ان قيادة العالم العربى والاسلامى لم يعد لها غيرك

ولقد كنا ـ يا صاحب الجلالة ـ نضع قيادها فى يديك ـ ولم نكن يا صاحب الجلالة ـ نرضى أو نريد أن يضعها جون فوستر دالاس فى يديك

ولكنهم أقنعوك يا صاحب الجلالة ، ولقيت محاولتهم أصداءها مع جو المخاوف والشكوك الذى كان يحيط بك

هكذا ـ يا صاحب الجلالة ـ تصورت ان ما بقى من مصر بعد العدوان ، لن يبقى من مصر بعد سياسة دالاس الجديدة .. **سياسة عزل مصر** .

وأمامك ـ يا صاحب الجلالة ـ فى واشنطن ، استعمل الدكتور شارل مالك ، فيلسوف لبنان ـ الذى لم تنتج سياسته غير الوبال ـ تعبيره المشهور عن أن :

« الولايات المتحدة قررت شطب اسم جمال عبد الناصر من الشرق الاوسط »

وكنت أنت يا صاحب الجلالة تسمع .. ساكتا صامتا

ثم قيل لك يا صاحب الجلالة :

ان امريكا سوف تكون فى سياستها فى الشرق الاوسط طوع أمرك ورهن اشارتك

ثم وقعت يا صاحب الجلالة اتفاقية الظهران مقابل خمسمائة مليون دولار

٢٥٠ مليون دولار منها لك .. لشخصك

٢٢٥ مليون دولار نفقات سلاح أمريكى ومصاريف بعثة أمريكية عسكرية

٢٥ مليون لخزانة الحكومة العربية السعودية

ثم قيل لك يا صاحب الجلالة أن كل معونة تقدمها لأى دولة من

دول الشرق الاوسط سوف تكون بالتشاور معك ، وسوف تكون بواسطتك وعن طريقك

ثم عدت — يا صاحب الجلالة — وفى تصورك أنه لم يعد فى المنطقة غير سياسة أمريكا وسياستك ، أما مصر فقد انتهى دورها

ولم تنس — يا صاحب الجلالة — وأنت عائد فى الطريق أن تمر على الشمال الافريقى كله ، تؤكد زعامتك الجديدة للعالم العربى والاسلامى ، وتمهد للدور الذى **اصطفاك دالاس** ، من دون العالمين للقيام به .

وفاتك — يا صاحب الجلالة — ان دالاس لا يمكن أن يخدم الا أغراض أمريكا ، ولا يمكن أن يستهدف غير مصلحتها

***

وان كنت نسيت — يا صاحب الجلالة — دعنا نذكرك !

هل تذكر ماذا كان أول طلب لك حين عدت الى المنطقة

طلبت من الحكومة السورية يا صاحب الجلالة — أن **تخرج المقدم عبد الحميد السراج** من صفوف الجيش السورى ؟

لماذا . . . يا صاحب الجلالة ؟

لان عبد الحميد السراج ، كان عقبة فى وجه جميع المشروعات التى كانت تستهدف غزو سوريا من الداخل ، تنفيذا لسياسة دالاس الجديد وتحقيقا لمآربه

لقد شرح دالاس هذه السياسة — يا صاحب الجلالة — فى مؤتمر **برمودا حين اجتمع بماكميلان رئيس وزراء بريطانيا فى حضور** دوايت ايزنهاور رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية

كانت نظرية دالاس :

« ان غلطة ايدن انه حاول ضرب مصر مواجهة بقوة السلاح

وكان الذى يجب أن يحدث هو العمل من الداخل لا من الخارج ، الغزو من الداخل لا من الخارج

والطريق الى ذلك هو عزل **مصر** أولا عن المنطقة ، ثم بعدها **عزل عبد الناصر** عن مصر »

وكان لابد لعزل مصر عن المنطقة . . عزلها أيضا عن سوريا

وكان لابد لانجاح هذه السياسة فى سوريا، غزو **سوريا** من الداخل هى الاخرى والمجىء بحكومة ترتضى السير فى سياسة العزل وتشارك فى تنفيذها !

هنا — يا صاحب الجلالة — كان طلبك بعزل عبد الحميد السراج

***

ثم بدأت بعد ذلك ـ يا صاحب الجلالة ـ حركات غريبة فى الرياض

بدأت يا صاحب الجلالة تمهد لنفسك طريق البعد عن مصر

ولما ، لم تجد الاسباب ـ يا صاحب الجلالة ـ راحوا يلفقون لك الاسباب قالوا لك يا صاحب الجلالة انه كانت هناك مؤامرة مصرية ضدك ولماذا تتآمر عليك مصر يا صاحب الجلالة ؟

لماذا تتآمر عليك مصر يا صاحب الجلالة ؟

لماذا تتآمر مصر عليك ، وهى لاتعتبر التآمر احدى وسائل العمل

السياسى ، ثم ـ حتى ولو كانت مصر تؤمن بالمؤامرات وهو غير صحيح ـ فلماذا تتآمر عليك وانت صديقهـا الذى كانت تتحسس السبل الى استرضائه بكل الوسائل وتذهب فى ذلك الى أبعد المدى ؟

وشكوت يا صاحب الجلالة أن ضابطا مصريا تحدث الى احدالامراء من أنجالك بكلمة لم تكن تليق بحق الامراء

وشكوت أيضا ـ يا صاحب الجلالة ـ لأن مدرسا مصريا قال ان جلالتك بدأت تغير سياستك

وأحست مصر ـ يا صاحب الجلالة ـ ان هذه كلها تعلات ، ومع ذلك لم تسكت مصر

وان كنت نسيت ـ يا صاحب الجلالة ـ دعنا نذكرك

يومها طارت وفودنا الى الرياض .. الى جلالتك .

وفد منها فيه أنور السادات وعلى صبرى

ووفد منها فيه القائد العام لقواتنا المسلحة عبد الحكيم عامر

وكان مضمون الرسائل التى حملوها اليك يا صاحب الجلالة هو :

.. أن الرئيس جمال عبد الناصر يضع تحت أمرك جميع سلطاته كرئيس للدولة المصرية

اذا رأيت ـ يا صاحب الجـلالة ـ ان مصريا فى بلادك خرج عن حده ، فألق القبض عليه اذا شئت ياصاحب الجلالة ، وقدمه للمحاكمة ونفذ فيه حكمك وسوف نرضاه

واذا رأيت ـ يا صاحب الجلالة ـ ان البعثة العسكرية المصرية لم تعد تلزمك ، فاصدر أمرك يا صاحب الجلالة ـ لجميع ضباطها بأن يحزموا حقائبهم ويرحلوا

واذا رأيت ـ يا صاحب الجلالة ـ ان المدرسين المصريين فى مملكتك يهمسون بما لا تحب أن يرتفع به صوت فى مملكتك ـ فان مصر على استعداد لسحبهم جميعا ـ بعد صدور اشارتك بذلك ، فى أقل من أربع وعشرين ساعة

ما تشاء يا صاحب الجلالة

وانما ـ يا صاحب الجلالة ـ لا تفتح للغريب أو للدخيل ثغرة فى الصفوف بينك وبيننا

كانت هذه رسائل مصر اليك يا صاحب الجلالة .

* * *

ثم كان ما جرى فى الاردن يا صاحب الجلالة تساقط ذهبك ـ يا صاحب الجلالة ـ على عمان قبل انقلاب ملكها المشهور على شعبه .

وكان ذهبك يا صاحب الجلالة مقدمة القوى التى سندت طفل عمان المراهق فى جلد شعب الاردن الأبى .

كانت صاحبة الجلالة الملكة زين توزعه علنا وكان سمير الرفاعى يقدم منه بلا حساب .

وكان الانقلاب ضد الشعب ، يستند بأحد جناحيه على تأييد جلالتك .. تأييدك الذى تجلى فى تليفوناتك العديدة الى ـ طفل عمان المراهق ـ تسأله كل يوم عن الصحة والاحوال ، والذى تجلى فى قواتك المسلحة فى الاردن ، تلك التى وضعتها من أول يوم تحت تصرف طفل عمان المراهق ، وكان هذا الانقلاب ضد الشعب يستند بالجناح الآخر ـ ياصاحب الجلالة ـ على الاسطول الامريكى السادس فىالبحر الابيض ثم كانت زيارتك لعمان .

هذه الزيارة التى تلاقت فيها صحبتك ، مع طفل عمان المراهق ، ومع أمه ـ وآه لو تخلينا مرة عما نلزم أنفسنا به وتحدثنا عن أمه ـ ثم مع سمير الرفاعى .. ثم اذا أحاديث صحبتكم كلها تنصب على البلد الذى كان حتى هذه الدقيقة يتعلق بالمنى ، فى أن يحل العقل يوما محل وعود دالاس ..

وان كنت ـ يا صاحب الجلالة ـ نسيت دعنا نذكرك !

فى عمان يا صاحب الجلالة قلت :

ـ أن الجماعة فى مصر مصبحين أو ممسين

أى أن النظام فى مصر اذا أشرقت عليه الشمس ، لن تغرب عنه الشمس وهو مكانه .

وفى بغداد يا صاحب الجلالة أضفت الى ذلك كثيرا .

فى عمان وبغداد ، تخليت ـ يا صاحب الجلالة ـ علنا وصراحة عن الذين كانوا اصدقاءك ..

وارتميت ـ يا صاحب الجلالة ـ فى أحضان هؤلاء الذين كنت تعتبرهم ـ أنت بنفسك يا صاحب الجلالة ـ أعداءك .

كانت تلك آراءك يا صـــاحب الجلالة ، ولم تكن آراء مصر . فإن الصراع من أجل العروش وعليها ـ يا صاحب الجلالة ـ لايؤثر فى هذا البلد الذى خلع العرش من أرضه ، وأرســل بالتاج يتدحرج الى البحر ذاهبا الى ايطاليا !

***

وكانت مصر فى دهشة من هذا الذى جرى ويجرى ـ يا صاحب الجلالة وكانت تحاول أن تعرف الاسباب لتسارع الى علاجها .

ولم تكن هناك أسباب يا صاحب الجلالة وانما كانت هناك علل وتعلات .

وحين عــــرض سياسى لبنانى معروف أن يتحرى أســباب جفاء جلالتك مع بعض مستشاريك ، كانت مصر يا صـــاحب الجلالة ترحب بأن تعرف حتى تستطيع أن تتصرف !

والتقى هـــذا السياسى اللبنـــانى ـ يا صاحب الجلالة ـ بكبير مستشاريك الشيخ يوسف ياسين .

وان كنت ـ يا صاحب الجلالة ـ نسيت دعنا نذكرك !

كانت الاسباب التى أبداها الشيخ يوسف ياسين لجفوتك عجبا ـ يا صاحب الجلالة .

قال الشيخ يوسف ياسين ـ كبير مستشاريك ـ يا صـــاحب الجلالة ـ انك غاضب لان الحــكومة المصرية لم تقبل وساطتك فى مسألة **طلاق الســـيدة ناريمان ـ زوجة فاروق السابقة ـ من زوجها الحالى أدهم النقيب** .

وقال الشيخ يوسف ياسين ـ يا صـــاحب الجلالة ـ انك كنت طلبت أن تتدخل الحكومة المصرية لاقناع أدهم النقيب بأن يطلق ناريمان صادق ولكن الحكومة المصرية رفضت بحجة إنها لا تستطيع أن تتدخل فى قضية منظورة أمام المحاكم .

وقال الشيخ يوســــف ياســين ـ يا صاحب الجلالة ـ للسياسى اللبنانى المعروف :

ـ ان الحــكومة المصرية كانت تستطيع التدخل لو أرادت أن تكرم وساطة الملك !

وفات كبير مستشاريك ـ يا صاحب الجلالة ـ ان حكومة مصر ـ وأى حكومة متمدينة فى العالم ـ لا تستطيع أن تتدخل فى قضية تنظرها المحكمة ، قضية أحوال شخصية ، تمس علاقة رجل بزوجته !

وقال كبــير مستشاريك ـ أيضا ـ يا صـــاحب الجلالة ـ انك غضبت لأن بعض الصــحف المصرية نشرت انك أعطيت السيدة ناريمان صادق مبالغ زادت على المــائة ألف جنيه .

ولماذا خصصت بغضبك ــ يا صاحب الجلالة ــ صحف مصر ، ولم تسحب غضبك على الصحف الامريكية مثلا ، وقد نشرت نفس الخبر ، نقلا عن صحف لبنان التى نشرته ، بينما أنت ــ يا صاحب الجلالة ــ في زيارة رسمية للبنان !

ثم غضبت ــ يا صاحب الجلالة ــ أو هكذا قال كبير مستشاريك ــ لأن الصحف نشرت تفاصيل **قصة زواجك** من فتاة لبنانية عمرها سبعة عشر عاما ، ونشرت تفاصيل هداياك التى وصلت قيمتها الى نصف مليون جنيه ، ومرة أخرى ــ ياصاحب الجلالة ــ لماذا خصصت بغضبك صحف مصر وحدها ، ولم تسحب هذا الغضب على صحف أمريكا التى نشرت الخبر كما نشرته صحف مصر ، وزادت عليه ــ يا صاحب الجلالة ــ ما رأت أن تزيد عليه من تعليقات تناسب المقام !

ولقد كانت هذه الأسباب كلها ــ يا صاحب الجلالة ــ التى أبداها كبير مستشاريك ، أسبابا تافهة .. لا تزيد ولا تنقص عن كونها ــ كما قلت ــ تعلات لشيء آخر تخفيه النفوس !

* * *

لقد بدا الذى كانت تخفيه النفوس ــ يا صاحب الجلالة ــ يظهر كحقيقة مذهلة حين قطعت الأدلة كلها ، أنك ــ يا صاحب الجلالة ــ كنت بشكل أو بآخر وراء مؤامرة مرتضى المراغى لاعادة الحكم الملكى الى مصر !..

وماذا فعلت مصر ازاء هذه الأدلة القاطعة ؟

وان كنت ــ يا صاحب الجلالة ــ نسيت دعنا نذكرك !

فى يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩٥٧ وصل الىالقاهرة ، كبيرمستشاريك الشيخ يوسف ياسين ..

وفى نفس اليوم استقبله الرئيس جمال عبد الناصر ، وحضر المقابلة سفير المملكة السعودية فى القاهرة ..

وتحدث الشيخ يوسف ياسين عن الموقف وعن العلاقات بين مصر والسعودية وقال الرئيس جمال عبد الناصر لكبير مستشاريك ــ يا صاحب الجلالة :

ــ اذهب الى الملك ، وقل له ، اننى لا أعمل بسياستين !

قل للملك ان هناك مؤامرة على مصر ، وقل له ان الأدلةكلها أشارت الى أنه كان بشكل ما وراءها !

قل له ان أموالك هى التى تغذيها !

وقل له ان المستندات كتبت ان المراغى حصل على أموال سلمها لضابط مصرى اسمه عصام الدين خليل من **مصادر سعودية !**

قل له ان « ناموق » أحـــد أطراف هــذه المؤامرة موجود الآن فى السعودية بينما أنا هنا أتحدث اليك !

قل له اننى لا أرتضى لنفسى أن أرائى !
اننى أصادق من أصادقه علنا .. فاذا عارضت عارضت فى العلن .
قل له : انني لا أقول شيئا وأفعل عكسه !

قل له هذا كله ، وقل له انى أنتظر أن يصل الامير فيصل الى مصر لأضع تحت تصرفه جميع الوثائق !!

كان ذلك كما قلت يوم ١٨ ديسمبر !

وفى يوم ٢٣ ديسمبر خطب الرئيس جمال عبد الناصر فى بورسعيد وأذاع سر المؤامرة ولكنه لم يشر بكلمة الى دور الملك سعود فيها ..

كان عند كلمته ــ وكان ينتظر وصول الامير فيصل الى مصر !

* * *

ثم وصل الى مصر ــ يا صاحب الجلالة ــ شقيقك ، رئيس وزرائك وولى عهدك .

ثم التقى بالرئيس جمال عبد الناصر ٤ مرات ..
مرة يوم ٣ يناير سنة ١٩٥٨ ، ومرة يوم ١٣ يناير ، ومرة يوم ٢٣ يناير ومرة يوم ٣٠ يناير ..
ووضع الرئيس جمـــال عبد الناصر تحت تصرفه ــ يا صــاحب الجلالة ــ كل ملفات التحقيق ووثائقه فى قضية مؤامرة مرتضى المراغى .

ثم أضاف ــ يا صاحب الجلالة ــ يقول لشقيقك رئيس وزرائك وولى عهــــدك :

ــ وبينما أنا الآن أكلمك وصل الى الرياض « الأمير نايف » أحـــد أفراد المؤامرة تحت ستار أنه يعقد صفقة خيل !

وكان الأمير فيصل يهز رأسه كمن لا يريد أن يصـــدق .. ثم قال فيصـــــل :

ــ ألا يحتمل أن تكون هذه كلها دسائس لافساد ما بينه وبينك ؟
وقال الرئيس جمال عبد الناصر :
ــ أنا أتمنى أن تكون دسيسة .

كان ــ يا صاحب الجلالة ــ يتمنى ، وكانت الأمة العـــــربية كلها تتمنى معـــــه .

ثم ان كنت ــ يا صاحب الجلالة ــ نسيت دعنا نذكرك !

لقد قال شقيقك رئيس وزرائك وولى عهـــدك : ان لابد من لقاء بينك ــ يا صاحب الجلالة ــ وبين الرئيس جمال عبد الناصر .

وقال الرئيس جمـــال عبد الناصر ـ يا صـــاحب الجلالة ـ قال بالحرف الواحـــد :

ـ أنا على استعداد لأن أركب الطـــائرة وأذهب اليه فى الرياض ، على شرط أن يكون وراء ذهابى اليه فائدة ، نخرج بعدها بسياســـة واحدة لا بسياستين .

وخرج فيصل راضيا سعيدا ـ ياصاحب الجلالة ـ ثم عاد اليك .

ثم لم تصل من الرياض كلمة ، يضع بعدها جمال عبد الناصر رجله فى الطائرة ويذهب اليك ...

ومن سوء الحظ ـ يا صاحب الجلالة ـ انه فى نفس الوقت الذى كان جمـــال عبد الناصر يستعد فيه **ليركب طـــائرة اليك** ، كنت أنت ـ يا صاحب الجلالة ـ أو كانوا باسمك ـ يا صاحب الجلالة ـ يدفعون ربع مليون جنيه ثمنا لنسف طائرة يركبها جمال عبد الناصر !!

* * *

وما زال العرب جميعا ـ يا صاحب الجلالة ـ فى ذهول من قصة هذه المؤامرة حتى هذه الدقيقة !

كانت قسوتك ـ يا صاحب الجلالة ـ فيها مرة سوداء !

كنت فى عجلة من أمـــرك ـ يا صاحب الجلالة ـ لا تطيق الصبر ولا تحتمل الانتظار .

لهذا يا صاحب الجلالة لم تشأ أن يضيع الوقت ، فاتجهت فورا ، أو اتجهوا باسمك فورا ـ يا صاحب الجلالة ـ الى عبد الحميد السراج

وكنت ـ يا صاحب الجلالة ـ تعتقد ـ ولعل التجارب أثبتت لك خطأ ما كنت تعتقد ـ أن لكل رجل ثمنا .

هكذا عرضت على السراج ـ أو عرضوا باسمك ، ما كنت تتصور أو كانوا يتصورون ـ يا صاحب الجلالة ـ ان السراج لا يقـــوى على رفضه ولا يملك أن يصمد لاغرائه .

لم تكن تريد لهذه الوحـــدة بين مصر وسوريا أن تتم يا صاحب الجلالة ! !

وكذلك كنت ـ يا صـــاحب الجلالة ـ لا تريد لليمن أن تتحد مع الجمهورية العربية المتحدة .

واذا كنت ـ يا صاحب الجلالة ـ نسيت دعنا نذكرك !

كنت ـ يا صاحب الجلالة ـ قد اتفقت مع امام اليمن عـــلى أن تقرض حكومته ٥ ملايين دولار .

فلما أعلن امام اليمن رغبتـــه فى الاتحاد مع الجمهورية العربيـــة

المتحدة . استشاط غضبك — يا صاحب الجلالة — **فبعثت برسول من** عندك يقول له انك غيرت رأيك ، وسحبت عرض القرض على اليمن ، بعد أن كنت — يا صاحب الجلالة — قلت ان المبلغ تم تحويله فعلا لحساب اليمن !

٥ ملايين دولار .. يا صاحب الجلالة ..

أى ٢ مليون جنيه يا صاحب الجلالة ..

عجبا — يا صاحب الجلالة — هو نفس المبلغ الذى عرضته على عبد الحميد السراج .

نفس المبلغ ... حبسته عن امام اليمن **حتى لا ينضم** .

نفس المبلغ دفعته الى السراج ... **حتى ينقلب** .

عجبا — يا صاحب الجلالة — أى عجب ..

* * *

وفى الرياض قشة يتعلق بها غريق بحر الأسى والألم .

وفى الرياض ((**لجنة**)) — ياصاحب الجلالة — أمرت بتأليفها ، ولكنها لم تتألف حتى الآن !

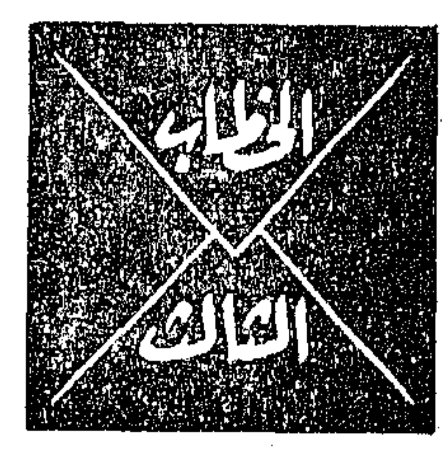
وفى الرياض ، « **تحقيق** » — يا صاحب الجلالة — أمرت باجرائه ، ولكنه لم يجر حتى الآن !

وفى الرياض ، ((**معميات ومقاصد**)) — يا صاحب الجلالة — وعدت بأن تظهرها وتنشرها ، ولكنها لم تظهر ولم تنشر حتى الآن !

ومتى ... يا صاحب الجلالة ؟ ... متى ؟

والى أين ... يا صاحب الجلالة ؟ ... الى أين ؟

أجب .. أجب : يا حامى الحرمين .. يا حارس الكعبة المقدسة ... يا صاحب الجلالة ! !



٢٦ يناير ١٩٦٢

مرحبا بك عائدا من الغربة والمرض حتى نستطيع ان نتحدث اليك ونناقشك ـ المال والدين والاشـــتراكية وقصص كثيرة أخرى !

يا صاحب الجلالة

مرحبا بك عائدا من الغربة والمرض ، راكبا الطائرة هذه الساعات عائدا الى الوطن ، وعائدا الينا !.

فهنا وأنت بيننا ، وصحتك معك ، نستطيع أن نتحدث اليك ، ولا نتحرج أن نناقشك .

ولقد كنا على وشك أن نبدأ حديثا اليك ومناقشة معك ، حول دورك فى موضوع سوريا ، لولا أن ألم بك هذا الذى أيقظك من النوم عند منتصف الليل وجعلك تهرع الى المستشفى الامريكى فى الظهران ، ثم لا تكاد تستقر هناك حتى تطير الى أمريكا ذاتها تنشد العلاج وتطلب الدواء !.

وتركتنا بعد سفرك فى حيرة !.

أهى ارادة الله ، أم هى ارادتك ؟

وللشك هنا يا صاحب الجلالة سبب ، فلقد سبقت لك فى ارادة المرض سابقة ، جرت فى ظروف مشابهة !.

فلقد شاءت ارادتك أن تمرض مرة فى سنة ١٩٥٨ ، حينما انكشف دورك فى محاولة رشوة عبد الحميد السراج بمليونى جنيه ، حتى يقوم بانقلاب ضد الوحدة بين مصر وسوريا قبل اتمامها .

يومها ــ ياصاحب الجلالة ــ لم تستطع أن تواجه نظرات العالم العربى اليك ، ولا استطعت أن تواجه نظرات شعبك ، بل لم تستطع أن تواجه نظرات بعض الافراد من أسرتك ، فاذا بارادتك الملكية تشاء لك أن تمرض ، ثم تترك بعدها معظم سلطات الملك لأخيك فيصل ، وتبتعد أنت لبعض الوقت عن الانظار !.

وكذلك حدث هذه المرة : حينما انكشف دورك فى عملية رشوة جديدة ، ارتفعت فيها الاسعار من مليونين الى سبعة ملايين قبضها منك صاحب جلالة آخر ، ودفع بعضا منها لجماعة من المغامرين فى سوريا ، ظهرت عليهم آثارها ، لدرجة أن أحدهم وهو العقيد حيدر الكزبرى وكان بين المتصدرين يوم الانقلاب فى دمشق ، قبض عليه ، ثم نحى بعدها وسرح من الجيش السورى كله ، وحدث نفس الشىء مع زميل له هو العقيد فيصل سر الحسينى وقد عثر معه ومع شقيقه على ربع مليون ليرة سورية ، لم يبق شك فى مصدرها ، وفى نسبتها اليك ، بطريق غير مباشر يمر بعمان قبل أن يصل الى الرياض .

وبينما انظار العالم العربى توشك أن تتجه اليك بالشك على الاقل .. اذا بنبأ مرضك يذاع واذا بالطائرة تحملك الى أمريكا تاركا — مرة أخرى — معظم سلطات الملك فى غيبتك لاخيك فيصل .

ثم كان تساؤلنا ونحن نرقب الطائرة تغيب بك عن آفاقنا :

— أهى ارادة الله .. أم هى ارادتك ؟

ومهما يكن من أمر ، فلقد غلبتنا فى نهاية التردد ، طيبة الارض الطيبة ، وآثرنا أن ننتظر حتى تعود ، ولم نتعرض لك الا بالقدر الذى اقتضاه سياق الحوادث وترتيبها ، فى كل ماجرى حتى الآن فى العالم العربى .

بل لقد دعونا الله — ياصاحب الجلالة — أن يشفيك ، وأن يرد غربتك ، حتى نستطيع — من غير تحرج — أن نتحدث اليك ، وأن نناقشك!

* * *

ولقد كادت حوافز الكلام تغلبنا أكثر من مرة خلال غيبتك ، حين كانت تصلنا هنا ، أصداء أحاديثك مع الذين كنت تلتقى بهم هناك .

لكننا فى كل مرة قهرنا حوافز الكلام ، وقلنا لأنفسنا :

— صمتا حتى يعود ! .

وحين بلغ نشاطك أشده خلال الاسبوع الماضى ، لم نخرج عن الصمت .

وفى خلال الاسبوع الماضى ، اجتمعت يا صاحب الجلالة بكثيرين ، وقلت لهم الكثير !.

● قلت لهم — ياصاحب الجلالة — انك عائد الى الشرق الاوسط، لمعركة فاصلة ، وأن الشرق العربى ، لم يعد يحتمل اثنين فيه : أنت ، وجمال عبد الناصر ، وانك تريد من جميع أصدقائك أن يعرفوا أن هذا الوقت وقتهم ، وانك ستمضى فى طريقك مهما كان موقفهم لأن الاشتراكية فى رأيك — خطر على الملكة .

● وقلت لهم — ياصاحب الجلالة — انك تعتبر الفرصة الآن مواتية — فان القاهرة — على حد رأيك — تواجه أزمة مالية — يسهل فيها خنقها — اذا ((صدقت الهمم وتضافرت الجهود)) وهذه كلماتك بنصها!

● وقلت لهم — ياصاحب الجلالة — انك هذه المرة تظن أن القاهرة سوف تخسر معركتها ، لأنك تستطيع أن تحاربها باسم الدين .

ولقد قال لك أحد سامعيك — وكان قد طار من لندن ليلقاك فى بوسطن — أنه يخشى أن لاينجح سلاح الدين ، ولقد جربته من قبل الاسرة الهاشمية ، مستعملة فيه نسبها الى محمد ، وقلت جلالتك محتدا وبالحرف :

— هذه المرة تختلف الظروف ، ان الاشراف — تقصد الهاشميين

ـ كانوا يواجهون دعوة للقومية العربية . أما الآن فان عبد الناصر يدعو الى الاشتراكية أيضا ، والاشتراكية ضد الدين لانها تتعرض لارادة الله الذى قسم الارزاق وأعطى الاموال لمن يشاء ومنعها عمن يشاء ،ولن يرضى المسلمون أن ينبرى عبد الناصر ليأخذ من بعض الناس ويعطى لبعضهم الآخر ، وانما سوف يعتبرون ذلك تدخلا فى شئون الخالق عز وجل !.

ثم أضفت جلالتك :

ـ ثم اننى ، أنا الذى أواجه عبد الناصر هذه المرة ، ومكانتى أمام المسلمين تختلف عن الذين كانوا يواجهون عبد الناصر من بغداد .

ان المسلمين يعتبروننى حامى الحرمين الشريفين : الكعبة وقبر رسول الله .

● ثم قلت لهم ـ جلالتك ـ انهم اذا استطاعوا أن يسندوك بكل قوتهم ، فانك بالغ هدفك ، خصوصا وأن ((الشارع)) على حد تعبيرك وأنت تقصد الجماهير ، قد تبدد أمله فى الوحدة العربية بعد ما حدث فى سوريا ، ومن ثم فان جمال عبد الناصر لايستطيع أن يحركه بالسهولة التى كان يحركه بها فيما مضى !

وقلت غير هذا كثيرا ـ ياصاحب الجلالة ـ ومع ذلك انتظرنا ، ومضينا نلح على أنفسنا :

ـ صمتا حتى يعود !.

وحين أعلن ـ ياصاحب الجلالة ـ انك عائد ـ بسلامة الله ـ فى السادس والعشرين من هذا الشهر ـ اليوم ـ بدأنا نستعد للكلام .

على أننا قبل أن نبدأالحديث معك ،والمناقشة ، نريدك ـ يا صاحب الجلالة ـ أن تعرف ، أن التزامنا للحدود فى أدب مخاطبتك ، **مبعثه الأول والأخير** ، احترامنا لشعبك ، ثم نبدأ الآن كلامنا معك ، فى هذا الذى قلته ، للذين جاءوا اليك من لندن ، ليحدثوك وليسمعوا منك ، خلال اقامتك فى بوسطن !.

* * *

وثمة ملاحظة نبديها قبل الحديث والمناقشة ، تلك هى أن الناس ـ ياصاحب الجلالة ـ لايحترمون هؤلاء الذين يستعدون الغرباء على ذوى قرباهم مهما كان الخلاف بينهم .

من هنا ، فليس بيننا من يعترض على كراهيتك لما يجرى فى القاهرة كذلك ليس بيننا من يريد أن يثنيك عن مواصلة حربك ضدها .

وانما اعتراضنا كله هو أن تذهب الى بوسطن ، ثم تفضى بما عندك للقادمين اليك من لندن .

كنا نتمنى لك ـ وأنت محسوب علينا مهما كانت الظروف ـ ان تحفظ معركتك معنا داخل حدودها العربية !.

وتخطىء هنا ــ ياصاحب الجلالة ــ اذا ماتصورت . اننا نقول لك هذا بدافع الخشية ممن حاولت أن تأتى بهم وراءك فى قتالك لنا .

ولعلك ــ يا صاحب الجلالة ــ تذكر ، أن الاسد البريطانى الذى زأر أمامك فى البوريمى ، لم يستطع غير أن يبكى عندنا فى السويس .

لكنها من أجلك هذه الملاحظة ، أو هى ــ للأمانة ــ من أجل شعبك، الذى مازال يحمل اسم أسرتك ، واسمك !.

ثم ننتقل الى مناقشة كلامك فى الاسبوع الاخير ، فى بوسطن للذين جاءوا ليحدثوك ويسمعوك من لندن !.

* * *

لقد قلت لهم ــ ياصاحب الجلالة ــ ان القاهرة فى رأيك تواجه أزمة مالية يسهل فيها خنقها ، ونناقشك الآن ياصاحب الجلالة فيما قلت !.

ولابد أن نقول ــ انصافا لك ــ أننا نفهم عقدة المال فى حياتك .

لقد عشت ياصاحب الجلالة جدب الصحراء قبل البترول وعرفت جفافها ، ثم وجدت نفسك فجأة بعد البترول تسبح فى بحر من الذهب .

ومثل هذه التجربة لايمكن أن تمضى بغير أثر على أصحابها .

ومن آثارها الحتمية عليهم ــ ياصاحب الجلالة ــ أن تخلق فى نفوسهم تقديرا مبالغا فيه لقيمة المال .

ذلك ــ ومن غير قياس ــ نفس شعور من نسميه غنى الحرب .

رجل بضربة حظ ولا شىء غيرها ــ ! ــ وجد فى يده مالم يكن يحلم به ، فاختلت مقاييسه ، وغدت القيم كلها فى موازينه تقدر بالمال وحده .

لكن هناك أشياء لايصلح المال لتقويمها ، كما أن هناك ــ يا صاحب الجلالة ــ مجتمعات تقيس نفسها بمقدار ماأعطت للدنيا ، وليس بمقدار ما أخذت منها فقط !.

ومع ذلك فاننا على استعداد **حتى** ــ لحساب المال ــ ما دام ذلك هو المفتاح الوحيد لمنطقك .

ويبدو أنك نسيت ياصاحب الجلالة ان القاهرة أغنى منك .

أن الدخل القومى فى السعودية كلها طبقا لأرقام البنك الدولى هو **٣٠٠ مليون جنيه فى السنة** منها ٢٥٠ مليون جنيه عائدات البترول ودخوله وحدها .

والدخل القومى فى الجمهورية العربية المتحدة ، طبقا لنفس المصدر هو **١٥٠٠ مليون جنيه فى السنة** ، وليس عندنا من البترول

الا ما يكفى بالكاد لتشغيل مصانعنا ، بل اننا نضطر الى الاستيراد منه لمواجهة احتياجاتنا النامية .

ليس هذا مانريد أن نقوله : وانما تلك مقدمة اليه

مقدمة لـكى نتساءل :

كيف يصرف كل منا ما لديه من أموال ؟.

وننتقل الآن من الدخل القومى ، الى ميزانية الدولة لكى تسـهل المقـارنة ؟.

لقد كانت ميزانية المملكة السعودية سنة ١٩٦١ التى تم تنفيـذها بالفعل وتصلح الآن أساسا للقياس هى ١٧٨٦ مليون ريال أى ١٧٠مليون جنيه على وجه التقريب .

وفى مقابل ذلك كانت ميزانية الجمهورية العـربية المتحدة ٨٠٠ مليون جنيه .

وكان تفصيل الميزانية السعودية ــ كما وقعتها ياصاحب الجلالة ــ على النحو التالى طبقا للمرسوم الملكى الصادر بربط الميزانية :

٢٤٨ر٢٠٦ر٠٠٠ ريال سعودى ــ أى ٢٥ مليون جنيه ــ وردت فى الميزانية تحت بند « الخزينة الخاصة » أى جيب جلالتكم الشخصى !.
٤٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ريال سعودى ــ أى ٤٠ مليون جنيه ــ وردت فى الميزانية تحت بند « الشئون الدينية والحـرمين الشريفين ومشروعات أخرى » ــ هكذا ــ يا صاحب الجلالة ــ وواضح منه أن حامى الحرمين ــ ! ــ يأخذ هذا المبلغ لنفسـه أو على الاقل يأخذ جزءا منه والبـاقى تأخذه جماعة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، هذه الجماعة التى تباشر ارهابا فكريا مظلما باسم الدين بينما الدين كله سماحة ونور !.

٢٢٥ر٠٠٠ر٠٠٠ ريال سعودى ــ أى ٢٢ مليون جنيه ــ وردت فى الميزانية تحت بند « تسـديد الديون » ، وهـذه الديون كمـا تذكر ــ ياصـاحب الجـلالة ــ هى ماكنت سـحبته مقـدما من شركة البترول الامريكية ، ثم بدأت تسدده على دفعات ، ومعنى ذلك أن هذا المبـلغ الضخم لايمثل فى الواقع الا دخلا عاد اليك ، أخـذته جمـلة فيما مضى ويجرى الآن سداده سنة بعد سنة .

٤٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ريال سعودى أى ٤٠ مليون جنيه ــ وردت فى الميزانية تحت بنود « الحرس الملكى » و « الحرس الوطنى » و «الدفاع» ومعنى ذلك ــ ياصاحب الجلالة ــ ان هذا المبلغ أيضا يمر بيدكم الملكية، الى حرسكم الخاص أو الى بعض رؤساء القبائل الموالية لكم شخصيا والذين تطلقون عليهم لقب الحرس الوطنى المهيب ، ثم يبقى من هـذه البنود مخصصـات « الدفاع » ، ولست أريد أن أتكلم عن الدفاع فى السعودية من أجل شرف العسكرية العربية فى كل بلد عربى !.

ثم تجىء بعد ذلك فى الميزانية بنود تأخذ ماتبقى من حصيلتها ،ومنها الاستخبارات ، ولها بند مستقل فى الميزانية ، ثم مدرسـة الثغر فى جدة

ولها الاخرى بنـد مسـتقل فى الميزانية ، **ثم أخيرا يجيء دور التنمية والاعمار ولهما فى الميزانية بند مسـتقل خصص له ثلاثة ملايين ريال ، أى ثلاثمائة ألف جنيه ! ..**

ثم نلقى نظرة على الميزانية المصرية ، لنفس السنة - ١٩٦١ - وعلى تفاصيلها :

٤٠٠ مليون جنيه - ياصاحب الجلالة - لمشروعات التنمية الواردة فى خطة مضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات ، تدخل فيها مشروعات الصناعة الجديدة والكهرباء ومشروعات تطوير الزراعة والسد العالى فى مقدمتها

٣٠٠ مليون جنيه - ياصاحب الجلالة للخدمات - منها مائة مليون جنيه للتعليم وحده - ثم عشرات الملايين للرعاية الصحية والاجتماعية والمواصلات والاسكان

١٠٠ مليون جنيه للدفاع ، لبناء جيش يملك الآن ياصاحب الجلالة أقوى أسطول بحرى فى شرق البحر الابيض ، وغواصاته ياصاحب الجلالة، أكثر عددا من غواصات الاسطول الامريكى السادس العـامل فى البحر الابيض ، كذلك يملك ياصاحب الجلالة أحدث قوة من قاذفات القنابل النفاثة البعيدة المدى ، عدا أسلحته البرية التقليدية ، وعدا أسلحته الاخرى التى تقطع بتفوق العلم العربى - ياصاحب الجلالة - والتى تثبت للدنيا أن ما يملكه العرب من العلم يزيد كثيرا عن الكتب الصفراء البالية التى تصدرها جماعة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر !.

وبعد ذلك كله ، ياصاحب الجلالة ، بند أخير هو مخصصات رئيس الجمهورية ، وهو البند المقابل للخزينة الخاصة فى الميزانية السعودية .

وطبقا لهذا البند يتقاضى رئيس الدولة هنا تسعة آلاف الجنيه فى السنة ، مقابل خمسة وعشرين مليـون جنيه لرئيس الدولة عنـدكم ، والذى هو جلالتكم شخصيا !.

●

وأنت محق ياصاحب الجلالة حين تقول أننا نواجه أزمة

ذلك - ياصاحب الجلالة - قول حق ، فمشكلتنا الكبرى أن آمالنا تتعدى مانملكه فى يدنا من المال السائل .

من هنا ، فنحن نستدين ياصاحب الجلالة !

لـكن طاقتنا على العمل قادرة على تسديد ديننا .

ونحن - يا صاحب الجلالة - ان لم تكن تعلم ، نسدد فى كثير من الاحيان ثمن مانشتريه من مصانع ، من بيع انتاجها ، بعد تركيبها على أرضنا وتشغيلها بأيدى عمالنا .

ومن هنا - ياصاحب الجلالة - فنحن لانخجل من ديوننا ، ولانخاف من أزمة تواجهنا .

ان كل دين علينا ـ ياصاحب الجلالة ـ يكفله مصنع يدور وبضيف قوة منتجة جديدة الى قوانا الوطنية .

لـكن دينكم ـ ياصاحب الجلالة ـ هو الدين الذى ليس لهمايبرره ولا مايكفله .

ان الملايين المودعة فى بنوك سويسرا وأمريكا وايطاليا . تخدم شعوب تلك البلاد ولا تخدم آمال شعبكم ياصاحب الجلالة .

والقصور الجديدة ـ ياصاحب الجلالة ـ لاتصنع حياة جديدة . وانما تستنزف حتى الحياة القديمة .

والجوارى ، والسيارات ، والكباريهات ، كلها ـ ياصاحب الجلالة ـ سلع استهلاكية ، تجلب المتعة لحظات ، لبعض الافراد ، ثم يمضى الأثر ، بلا حس ولا خبر !

* * *

ثم نعود الى الذى قلته فى بوسطن ، لمن جاءوك من لندن

قلت لهم ياصاحب الجلالة :

« ان القاهرة سوف تخسر معركتها أمامك لانك سوف تحارب الاشتراكية باسم الدين »

ونسألك ياصاحب الجلالة :

ـ هل تعرف ما هى الاشتراكية ، وهل تعرف ما هو الدين لـكى تستطيع أن تقطع عن يقين بتعارضها معه ؟

الاشتراكية ياصاحب الجلالة تقوم على أساسين :

● سيطرة الشعب على أدوات الانتاج ، بحيث يملكها ولا تملكه ، بحيث يسيرها ولا تسيره ، بحيث تكون هى فى خدمتـه ولا يكـون هو خادما لهـا ؟

فهل فى الدين مايتعارض مع هذا الحق للشعب ؟

هل نص القرآن ياصاحب الجلالة على أن تبقى مصـادر الثروة الوطنية فى أيدى شركات الاحتكار الاجنبية ؟

وهل ورد فى أحاديث رسول الله أنه أوصى ببترول العـرب لشركة شل ، أو لشركة أرامكو أو لغيرهما من الشركات ؟

هذا أسـاس .

والأساس الثانى فى الاشتراكية ـ ياصاحب الجلالة ـ هو :

● سيطرة الشعب على عائد الثروة الوطنية ، بحيث تكون لـكل فرد فيه فرصة متكافئة مع عمله ، تكفل له حق الحياة والمشـاركة العادلة فى رخاء الوطن .

فهل فى الدين ــ مرة أخرى ياصاحب الجلالة ــ مايتعارض مع هذا الحق للشعب ؟

هل نص القرآن ــ ياصاحب الجلالة ــ أن يكون للخزينة الخاصة وحدها ، طبقا للرقم الظاهر فى الميزانية ، ولا أتكلم عن الارقام غيرالظاهرة ــ ٢٥ مليون جنيه فى السنة ــ أى نصف مليون جنيه كل أسبوع ؟

لـماذا ياصاحب الجلالة ؟

وأى خدمة للاسلام أو للعرب تؤدونها مقابل هذا المبلغ .

ولقد يكون الجهاد فى القصور ، شاقا يا صاحب الجلالة ، ولكن ــ ونستحلفكم هنا بالضمير ــ هل يصل جهاد القصور الى هذا المبلغ فى مشقته ؟

●

ثم ما الذى سيبقى للشعب بعد ذلك يا صاحب الجلالة ؟

ولقد كان البترول فرصة عز منالها على مدى القرون لتطوير الحياة فى الجزيرة العربية .

ولكن الفرصة أمام عيوننا تحترق ، كما تحترق بقايا الغاز قرب آبار البترول .

لقد جاءت الفرصة ، وهى توشك أن تضيع ، دون أن تترك على الصحراء أثرا باقيا يضمن تجدد الحياة واستمرار الامل .

ولعل الخبراء عندكم ياصاحب الجلالة يقولون لكم ، أن آبار البترول لن تمضى فى فيضها الى الابد ، وكذلك فان قوى جديدة توشك أن تقلل من أهمية البترول وأولها الطاقة الذرية ، ومعنى ذلك أنه سيجىء يوم ، يقل فيه البترول السائل من أرضكم ، أو تقل فيه قيمة هذا البترول السائل من المال السائل .

وساعتها ــ ياصاحب الجلالة ــ ماذا سيكون من أمرالشعب فى الجزيرة العربية ؟

ونعرف ــ ياصاحب الجلالة ــ ان المشكلة فى ذلك الوقت ،قد لاتؤثر فيكم بالذات ، ففى بنوك سويسرا وأمريكا وايطاليا ، ما قد يكفى ، وما قد يغنى .

ولكننا نسأل :

ــ والشعب ياصاحب الجلالة ؟

ثم نسأل :

ــ والدين ياصاحب الجلالة ؟

* * *

ونعود يا صاحب الجلالة ــ مرة ثالثة ــ الى حديثك فى بوسطن لمن جاءوك من لندن .

لقد قلت لهم ياصاحب الجلالة ، أن أمل الجماهيرفى الوحدة قدتبدد، ومن ثم فان قدرتها على الحركة ضعفت .

وذلك خطأ كبير ياصاحب الجلالة ــ **واسأل فيه أصدقاءك الجدد فى دمشق ، ودقق فى سؤالهم .**

لقد قاموا بالانفصال ــ ياصاحب الجـــلالة ــ وهم يتحدثون عن الوحـــدة !

بل لقد تقدموا فى أعقاب الانقلاب ، بمشروع كامل للوحدة العربية.

ولقد يكون فيما قاموا به خداع .. **بل اننا نرى أنه كان خداعا كله.**

ومع **ذلك** فثمة ظاهرة فيما قاموا به تستحق النظر ، وهى **قاطعة** فى تمسك الجماهير وايمانها المتزايد كل يوم بالوحدة .

انهم لم يجدوا لحظة ارتكابهم الجريمة ، ســتارا يخفون به أيديهم الا شعار الوحدة .

وليس يهم هنا ــ ياصاحب الجلالة ــ انهم زيفوا على الامة شعارها

ان الزيف ــ ياصاحب الجلالة ــلا يعيش عمرا طويلا ، وانما الزيف تهتكه الحوادث المتحركة الى غاياتهــا الحتمية مهمــا كانت الشــواغل والمعـــوقات .

ولن تقف الحوادث عن سيرها ــ لأن سياستكم ــ ياصاحبالجلالة ــ كانت دائما مناوئة للوحدة .

لقد كنتم دائما بالمنطق القبلى الاقطاعى تعارضون قيام دولة عربية كبرى فى المنطقة .

ولقد كان هذا حافزكم حين وقفتم فى الصف الوطنى ضد مشروعات الاستعمار التى حاولت هى الاخرى أن تستغل ستار الوحدة فى خدمة مشروعاتها المعروفة كسوريا الكبرى والهلال الخصيب .

ولقد كان الصف الوطنى يقاوم هذه المشروعات باعتبارها صادرة عن غير ارادة وطنية .

وكنتم مع الخط الوطنى تقاومونها ولكن لأسبابكم الخاصة .

ومع هذا المنطق كان من السهل انتقالكم من الصف الوطنى ، الى الصف المعادى له ، وذلك فى نفس اللحظة التى تحرك فيها الصفالوطنى الى أول تجربة عملية للوحدة .

* * *

ولــكن لماذا نناقشك ياصاحب الجلالة ونطيل الحديث معك فى كل ماقلته فى بوسطن للذين جاءوك من لندن ؟

● **هل نرد على مانقوله لكى يسمع الذين قلت لهم ؟**

ـ **أبدا** نحن ندرك أن لا فائدة من اسماعهم شيئا يعرفونه على وجه اليقين ، أنهم يعرفون الحقيقة ـ ياصاحب الجلالة ـ كلها ، ولكنهم يحاولون تعويقها ، اكتسابا لفرصة زمن ، وجلالتكم فى أيديهم قطعة حجر يمكن أن توضع على الطريق ، لتسده أو لكى يتعثر فيها على الاكثر من يسير فيه .

واذن .

● **هل نرد على مانقوله ابقاء لأمل فيك ؟**

ـ **أبدا** ، يا صاحب الجلالة ، واننا لندرك انك تسير على الطريق الذى لا عودة منه ، وانك ستمضى فى شوط العداوة الى مداه .

●

واذن ماذا ؟

هى الانانية البحتة من جانبنا ياصاحب الجلالة .. وبها نعترف !

نحن نريدك أن تفهم حتى تستطيع أن تحسن قتالنا .

اننا نريد أن نرتفع بك الى المستوى الذى نرضاه لمن يعادينا .

ولقد اعتدنا على مستوى من الخصومة قوى وذكى .

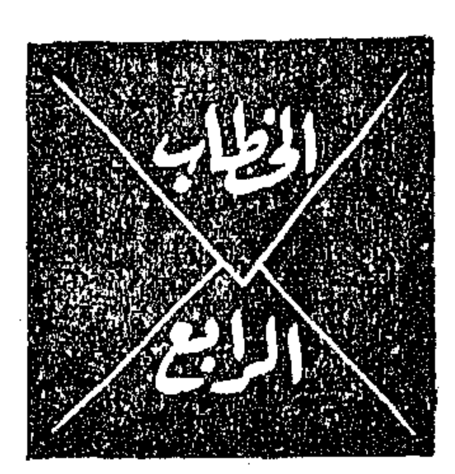
ونريدك أن تكون على هذا المستوى حتى نقبل معركة معك .

واننا لنقول يا صاحب الجلالة :

● **لقد كنت لنا ـ فى يوم من الايام ـ صديقا .. جاهلا !**

فلا أقل من أن تعوضنا عن ذلك اليوم ، بأن تكون لنا ـ مادمت تريد.

ـ عدوا .. ولكن عاقلا !!



٢ فبراير ١٩٦٢

مرة أخرى : يا صاحب الجلالة ــ صورة الموقف فى الشرق الاوسط كما رسمها الملك سعود لاصدقائه فى واشنطن ــ الخطة التى رسمها الملك للعمل فى المنطقة والنتيجة التى ننتظرها الآن ؟ !

ولقد عدنا ، لكنك ـ ياصاحب الجلالة ـ لم تعد !.

عدنا الى الحديث معك ، وكان الظن انك ستكون هنا بيننا تسمعه، لكن اذاعة مكة لم تكد تفرغ من ندائها الى المواطنين فى السعودية بأن يستعدوا لاستقبالك وأن يقيموا الزينات ويرفعوا الاعلام استعدادا لوصولك يوم الجمعة الماضى ـ حتى انطلقت تقول لهم ، انك آثرت المرور بفلوريدا ، لعدة أسابيع تقضيها على الشاطىء الدافىء فى ميامى تستجم ، قبل أن تعود الى الرياض !.

وليتك عدت فى موعدك المقرر ياصاحب الجلالة .. ليتك عدت !.

نقولها ، لا لمجرد رغبتنا فى أن يكون حديثنا اليك ، وأنت معناهنا، وانما نقولها ، لأن كل يوم يمر عليك هناك ـ وأنت غاضب هكذا وحانق ـ يوقعك فى المحظور ، ويدفعك خطوة ، نحو ما كان ينبغى أن تبتعد عنه بخطوات .

* * *

ولقد كان آخر ماينبغى لك أن تفعله ـ ياصاحب الجلالة ـ هو أن تقول ما قلته للرسميين الامريكيين ، الذين جاءوا ليتشاوروا معك ، وليقلبوا الامر فى الشرق الاوسط ، على وجوهه المختلفة ، علهم يصلون فى بحره الهائج المضطرب الى بر أمان !.

لكن أسانا لم يعد له مجال ياصاحب الجلالة .

ان ماقلته هذا الاسبوع للذين جاءوك من واشنطن ، هو استطراد منطقى للذى قلته فى الاسبوع الماضى ، للذين جاءوك من لندن !.

ولنا هنا تعليق ، نستأذنك فيه يا صاحب الجلالة .

لقد دعوت السيد عبد الرحمن عزام الى حضرتك الملكية ، عقب سماعك بما وجهناه اليك هنا من حديث فى الاسبوع الماضى وقلت له جلالتك : **انك تريد أن تعرف من أين جاءوا بما كتبوه من معلومات ؟ .**

وتصور الرجل الطيب ، عبد الرحمن عزام ، انه يستطيع أن يجد الاجابة التى طلبتها جلالتك ـ بسؤال مراسل الاهرام فى نيويورك .

لكن مراسل الاهرام لم يكن لديه مايقوله لعبد الرحمن عزام .

ولقد قلت ياصاحب الجلالة غاضبا حين مر يوم ولم يجيئوا اليك بخبر يقين :

ـ اذن جواسيس فى حاشيتى !

واهدأ ـ يا صاحب الجلالة ـ اهدأ ، ولا تظام من حولك •

هذا عالم ـ ياصاحب الجلالة ـ لم يعد فيه سر •

ولقد بدأت الدنيا ـ ياصاحب الجلالة ـ تسمع حديث النجوم فى أفلاكها ، وليس حديثك ، فى غرفتك ، بأعز منالا ، من حديث النجوم !

●

ماذا قلت ياصاحب الجلالة هذا الاسبوع للذين جاءوك من واشنطن؟

اسمع ، ولا تغضب هذه المرة أيضا ياصاحب الجلالة .. لاتغضب.

ولا تكلف عبد الرحمن عزام ان يسأل فيما لايستطيع أن يصل به الى جواب •

ولا تعبس فى وجه من حولك وأنت تقول : جواسيس فى حاشيتى !•

اسمع ياصاحب الجلالة ماذا قلت ..

لقد قلت :

((ان عزل مصر ، عن بقية العالم العربى ، يبدو الآن ـ لأول مرة منذ سنوات محتملا وممكنا))

ثم استعرضت جلالتك الموقف فى المشرق العربى بالتحديد لكى تشرح لسامعيك وجهة نظرك بالتفصيل •

قلت جلالتك ، ونقسم لك أننا لن نزيد عليه من عندنا حرفا ، ولن ننزع منه حرفا ..

قلت جلالتك :

((لقد كانت السياسة الامريكية ، تتطلع دائما الى أبعاد تاثير مصرعن دول المشرق العربى وبالذات عن سوريا والعراق والاردن والسعودية•

وهذا موضوع تكلمنا فيه كثيرا مع المغفور له المستر دالاس ، ومع الرئيس الامريكى السابق الجنرال ايزنهاور •

ولكن النجاح لم يتيسر من قبل)) •

واستطردت جلالتك :

((لقد كنا تكلمنا كثيرا فى هذا الموضوع مع أصدقائنا فى واشنطن حين زيارتنا لها سنة ١٩٥٧ •

ولكن الموقف تغير الآن عما كان)) •

ثم قلت جلالتك :

((ان نظرة سريعة على الاحوال فى كل بلد عربى الآن كفيلة باظهار فرص النجاح ، المتاحة اليوم ، والتى لم تكن متاحة سنة ١٩٥٧ •

فى السعودية ، كانت الافكار المصرية ، قد وصلت الى حد أنها أحدثت انقساما فى الاسرة المالكة نفسها •

أما هــذه المرة ، فان كل الامراء يتفقــون معى على أن الاشــتراكية أصبحت خطرا محققــا عليهم ، وهم جميعــا الآن يؤيدون ســياستى ويساندون موقفى)) .

ثم أضفت جلالتك :

((والعلماء أيضا والتجار معى)) .

وأردفت جلالتك تقول لسامعيك :

((هل تظنون أن علماء الدين يرضيهم أن يتــولى مخلوق تصحيح موازين العدل وأن يتولى بنفسه انصاف الفقراء من الاغنياء .

ان الله وحده هو الذى يتولى العدل ـ ذلك رأى العلماء ـ والذين يفوتهم نعيم الدنيا ، لهم عوضهم فى نعيم الآخرة !.

هل تظنون أن التجار فى السعودية يقبلون النزول عن الجزء الاكبر من ثرواتهم لغيرهم من الناس تحت شعارات المساواة ؟!)).

●

ثم انتقلت جلالتك الى غير السعودية من بلاد المشرق العربى .

وبدأت بسوريا ..

قلت جلالتك :

((ان الموقف فى سوريا يحتاج الى تدعيم ، ولا بد أن يشترك معى فى تدعيمه كل الذين يحرصون على ابتعاد سوريا عن مصر !))

ثم قلت جلالتك :

((ان الضباط الذين قاموا بالانقلاب ضد الجمهورية العربية المتحدة فى سوريا ، كانوا فريقين :

فريقا كان على اتصال بنا ، وفريقا لم يكن .

وأن الغلبة فى الايام الأولى للانقلاب كانت لفريقنا ، ولكن بعضهم وقعوا فى المكائد وخرجوا من الجيش ومنهم حيدر الكزبرى .

على أن السياسيين الذين نعرفهم ويعرفوننا استطاعوا أن يسيطروا على الموقف وأن يفوزوا بالغالبية فى مجلس النواب .

ولــكن هناك خطرين فى سوريا ..

● ان معظم الضباط فى سوريا من أبنــاء الفقراء ـ كذلك قلت جلالتك ـ ودعوة الاشتراكية تستطيع بسهولة تسميم أفكارهم ـ كذلك قلت أيضا .

● ثم ان العمال وتلاميذ المدارس والفلاحين قد تشوشت أفكارهم من تأثير المبادىء الثورية التى يبثها عبد الناصر .

ومن هنا فان الموقف فى سوريا يحتاج الى مجهــود مستمر لتأمين

الاوضاع الجديدة التى قامت بعد انفصال سوريا عن مصر .

ولا بد أن نشتغل نحن فى ذلك وتشتغلوا أنتم أيضا معنا)) .

●

ثم قلت جلالتك :

((ان الملك حسين يمكن الاعتماد عليه وهو مخلص فى عدائه لعبد الناصر ولا يطيق ذكر اسمه فى مجلسه ، لكن مشكلة حسين أنه يطلب مالا كثيرا ولكن ذلك لايهم ونحن على أى حال ((نعطيه)) !)) .

ثم قلت جلالتك :

((لقد كان حسين على علاقة طيبة بحكومة الانتقال فى دمشق لكنه كشف نفسه بتعجله وتسرعه ، ولقد نصحناه بالتروى ، ولكنه فى رغبته لتدعيم الانقلاب أحرج نفسه وخلق شكوكا من حوله فى نفوس السوريين وهم لايثقون به .

ولقد كتب لى وأنا هنا يشكو مما يلاقيه من جحود دمشق ولكنى هدأت ثائرته ونصحته بالتعقل .

ولقد كان عاتبا أن الحكومة السورية أخطرته أنها لاتستطيع استقبال وفد أردني للتهنئة بالحكومة الجديدة يرأسه بهجت التلهونى ، ونقلوا اليه قول أحد الضباط أنه ((لو جاء بهجت التلهونى الى دمشق فسوف يضربه بالرصاص » .

ولقد نصحته على أى حال بتغيير التلهونى ، لأنه مكروه فى دمشق ، واستطاع المصريون تشويه سمعته ، ولقد عرفت الآن انه فعل ما أشرت به عليه ، ولعله يستطيع بالوزارة الجديدة أن يتصل بالسوريين من غير حرج !)) .

●

ووصلت ــ ياصاحب الجلالة ــ الى العراق .

وقلت ــ ياصاحب الجلالة ــ انك تعتقد أن اللواء عبد الكريم قاسم شخص غير طبيعى ، ثم استطردت :

ــ لكن ميزته هو الآخر انه يكره عبد الناصر ، ومن هنا فهو مفيد فى المرحلة القادمة .

ثم قلت :

((ان قاسم وضع نفسه فى موقف صعب بمسلكه حيال الكويت ، لكن الامر يمكن تدبيره بالتعاون مع الانجليز ، ونحن على صلة بالفريق نجيب الربيعى رئيس مجلس السيادة العراقى ، وكان من قبل سفيرا لدينا فى الرياض وهو يعرف أفكارنا ونحن نعرف أفكاره .

والربيعى يشتغل الآن فى الجيش العراقى ، ويجتهد أن يكون له جماعة تؤيده ، اذا اضطررنا يوما الى مواجهة قاسم .

لكن قاسم سعيد بخلاصه من وجود عبد الناصر على حدوده فى سوريا ولذلك فنحن لانتوقع منه أن يثير المتاعب ، بل نظنه الآن على استعداد للمسايرة ، وقد بدأ يتصل بالسوريين ، وفى سوريا عناصر تميل للتعاون مع العراق » .

●

تم سكت برهة ـ ياصاحب الجلالة ـ عقب هذه الجولة السريعة فى أربع عواصم عربية خرجت منها ، أمام سامعيك ، بأنها جميعا **معك** فى العداء لمصر ، وعلى استعداد **لمسايرتك** فى عزلها .

ثم بدأت تسرد طلباتك يا صاحب الجلالة .

● طلبت ـ **أولا** ـ أن لا تعمل الولايات المتحدة الامريكية فى المنطقة الا بمشورتك ، والا بتفاهم معك .

● طلبت ـ **ثانيا** ـ أن توضع خطةلتحقيق الهدف ـ عزل مصر ـ يشترك فى وضعها وتنفيذها جميع الاطراف الذين يعنيهم الأمر ! .

● طلبت ـ **ثالثا** ـ تضييق كل تعاون مع مصر ، وتوسيع كل تعاون مع غيرها من البلاد العربية المشتركة معك فى المحاولة الجديدة .

● طلبت ـ **رابعا** ـ الاتصال باسرائيل والضغط عليها لتأجيل تنفيذ مشروع تحويل مياه الاردن ولو لستة شهور ، لأن أى نشاط اسرائيلى فى المنطقة القريبة من الحدود السورية ، سوف يدفع السوريين الى أحضان عبد الناصر ، ومن هنا فلا بد من فرصة يتم فيها أولا تأمين الاوضاع فى دمشق ذاتها !.

ثم سكت ياصاحب الجلالة .. سكت .

وليتك لم تتكلم يا صاحب الجلالة .. ليتك لم تتكلم !.

وليس يهمنا الآن ـ يا صاحب الجلالة ـ أن نذكر هنا ماقاله سامعوك !

ان ماتقوله ـ ياصاحب الجلالة ـ لهم ، وما يقولونه ـ ياصاحب الجلالة ـ لك ليس هو الذى سيصنع التاريخ ، وليس هو الذى سيرسم القدر !.

كل الذى خططته سوف يفشل ياصاحب الجلالة ، كله سوف يفشل ، بصرف النظر عما تقوله لهم ، أو عما يقولونه لك !

وليس فى الامر سر ياصاحب الجلالة ، وليس فيه سحر .

ونقول لك من الآن ـ ياصاحب الجلالة ـ لماذا هذا اليقين لدينا ، بأنه سوف يفشل كله ، وبأن رياح الصحراء سوف تذروه أمامها وتبعثره فى مجاهل الربع الخالى ، هناك حيث لاحياة ولا أمل !.

لعدة أسباب ، ياصاحب الجلالة .

● انه ـ ياصاحب الجلالة ـ أولا **تجمع ، لايربط المشتركين فيه غير**

كراهيتهم لشىء واحد .. والتجمع على الكراهية مهمـا اشـتدت ـ ياصاحب الجلالة ـ ومهما عمقت ، لايمكن أن يكـون له غير أثر سلبى محـدود .

● ثم هو ـ يا صـاحب الجلالة ـ ثانيـا ـ ـ **تجمع أفراد** لا يقدرون مهما كان جاههم ونفوذهم ومهما كان عدد ما لديهم من ملايين الجنيهات ، أن يوقفوا التغيير الذى جاء أوانه فى حياة شـعوبهم أو أن يحولوا طريقه حتى لا يبلغ غايته .

● ثم يجىء ـ ياصاحب الجلالة ـ سبب ثالث يطول فيه الشرح ويستفيض الحديث ، ونعنى به **أسلوبكم فى العمل** !

●

انكم ـ ياصاحب الجلالة ـ لاتقاومون فكرة بفكرة ، ولا تواجهـون مبدأ بمبدأ .

والقاهرة ـ يا صاحب الجلالة ـ تنادى **بالحرية** ، وأنتم ترفضون الدعوة ـ ياصاحب الجلالة ـ وتعتبرون انها خطر يهز العروش ..ليكن .. **فهمنا موقفكم !.**

والقاهرة ـ يا صـاحب الجلالة ـ تنادى **بالاشتراكية** ، وأنتم **تعارضون** الاشتراكية وتعتبرونها محاولة لأخذ ملايينكم لصالح الجماهير بغير وجه حق فى رأيكم .. ليكن .. **مرة أخرى فهمنا موقفكم** !

والقاهرة ـ يا صاحب الجلالة ـ تنادى **بالوحدة** ، وأنتم **تتخوفون** من الوحدة وتعتبرونها رغبة فى التسلط والسيطرة وتدخلا غير مرغوب فى شئونكم .. ليكن .. **مرة ثالثة فهمنا موقفكم !**

لكن حقنا بعد ذلك يا صاحب الجلالة أن نسأل :

ـ ما هو طريقكم فى النضال اذن الى مستقبل العرب ؟ .

ترفضون الحرية ، وتعارضون الاشتراكية ، وتكرهون الوحدة .

ذلك كله فهمناه .

لـكن ـ ياصاحب الجلالة ـ ماهو طريقكم ؟.. ماهو طريقكم الى مستقبل الانسان العربى ، وما هو طريقكم الى مستقبل الارض العربية؟!.

●

ولقد رأينا **أسلوبين** فى العمل ـ يا صاحب الجلالة ـ **وصـدقنا اذ نقول لكم مخلصين أن طريقهما لايقدر أن يصل بمستقبل العرب ، بشرا وأرضا ، الى غد يرتجى !**

أسلوبين ـ ياصاحب الجلالة ـ ماعادت فيهما طاقة تصل بهمـا الى شىء .. الى أى شىء !.

أنت تعرفهما ـ ياصاحب الجلالة !.

أسلوبين ، لم نر حتى الآن لهما ثالثا ونعنى بهما : **الرشوة والقتل!**

ونعتذر ياصاحب الجلالة عن الكلمتين ، ولقد حاولنا أن نعثر على المتين غيرهما تصلان الى نفس المعنى بطريق أرق وأحشم ، ولكن ـ ياصاحب الجلالة ـ لم تصل بنا المحاولة الى نتيجة واضطررنا برغم استعدادنا للمجاملة أن نسمى الاشياء بأسمائها وعذرنا ـ على أى حال أمامك واضح ، فلقد مرت علينا الان عشر سنوات نسينا فيهــا لغة مخاطبة الملوك .

●

ولا تتصور ـ ياصاحب الجلالة ـ اننا نقصد : احراجك الآن أمام الذين كنت تكلمهم هذا الاسبوع وكانوا يكلمونك !

اننا حين نقول على مسمع منهم ، ان أسلوبك فى العمل هو : الرشوة والقتل ، **لا نضيف فى الحقيقة جديدا الى ما يعلمون .**

انهم مازالوا ـ ياصاحب الجلالة ـ يذكرون تعاونك معهم ، فى مرة ســابقة من أجل عزل مصر سنة ١٩٥٧ ، **وما زالت الحكاية تروى فى وزارة الخارجية الامريكية وفى وزارة الدفاع ! .**

فى سنة ١٩٥٧ ، كنت ـ ياصاحب الجلالة ـ مستشارهم فى محاولة فرض مشروع ايزنهاور على الشعوب العربية وكان سفيرهم المتجول فى ذلك الوقت ـ السنــاتور ريتشاردز دائم الاتصال بك فى تحركاته وتنقلاته

وما نظن ـ ياصاحب الجلالة أن السفير المتجول ريتشاردز ، قدنسى أنك اقترحت أن تسبقه الى اليمن بعثة عسكرية أمريكية ، يرأسها جنرال أمريكى من القاعدة الامريكية فى الظهران لتمهد الجو قبل وصوله الى تعز

ووافقت الحكومة الامريكية يا صاحب الجلالة .

واقترحت جــلالتك وقتها أن تحمل البعثة معها خمسة ملايين دولار لامام اليمن ، وأن تحمل له بعض السلاح الخفيف ، وأن تحمل له هدية شخصية لجلالته اقترحتها بنفسك وأشرت بها .

واتصلت بك وزارة الخارجية الامريكيــة ـ يا صــاحب الجلالة ـ تقول لك انها تواجه مشكلة صعبة .

ان الملايين الخمسة من الدولارات أمرها سهل وسيحملها الجنرال الامريكى الى امام اليمن .

وقطع السلاح الصغير يمكن تدبيرها وسيحملها الجنرال الامريكى الى امام اليمن .

لــكن الجنرال الامريكى ، فقد عقله ، حين عرف بأمر الهدية الشخصية التى اقترحتها بنفسك وأشرت بها .

فقــد الجنرال الامريكى عقله واعتبر الأمر اهانة لشرف البــدلة العسكرية التى يرتديها وقال للذين فاتحوه فى الأمر :

ـ انني جندى ولست ((...))

وأنا أحذف الوصف الذى استعمله الجنرال الامريكى ـ يا صاحب الجلالة ـ لأن قانون العقوبات فى بلدنا الاشتراكى يحمى الآداب العامة ويمنع خدشها حتى بالكلمة !

لقد كانت الهدية التى اقترحتها ـ يا صاحب الجلالة ـ وأشرت بها جارية شابة !

ولقد افتر ثغركم ـ يا صاحب الجلالة ـ عن ابتسامة ملكية كريمة حين نما الى مسامعك موقف الجنرال الامريكى ، ثم وجدت حلاً للمشكلة أن يذهب أحد مستشاريك مع البعثة الامريكية ويتولى هو تقديم الجارية !

وهكذا كان ـ يا صاحب الجلالة ـ **هكذا كان .**

وكان مستشارك السيد جمال الحسينى هو الذى رافق البعثة الامريكية ومعه الجارية الشابة ، عمرها ثمانية عشر ربيعا ، بيضاء حلوة مخطوفة من لبنان ، وحين وصلت البعثة الى تعز اشترط الجنرال الامريكى أن لا يكون مستشارك معه بالجارية حين مقابلته لامام اليمن .

ولقد ذكرت القصة بحذافيرها يا صاحب الجلالة لأنهم يعرفونها .

وأبحت لنفسى أن أذكر اسم مستشارك الذى قام عن رئيسها الامريكى ، بما لم يرض هو أن يقوم به ـ لأن الحكاية كلها لم تعد سرا فى كل تفاصيلها .

ولم يكن هدفى ـ يا صاحب الجلالة ـ من روايتها سوى أن أؤكد لك اننا لا نضيف جديدا الى ما يعلمونه عن أساليبك فى العمل ، وان احراجك يا صاحب الجلالة أمامهم ، لم يكن مقصدنا ولا كان الهدف !

●

ومع ذلك ـ يا صاحب الجلالة ـ ما لنا وتجاربهم معك .

فى تجاربنا نحن الكفاية .

لقد كنت ضد اتمام الوحدة سنة ١٩٥٨ بين مصر وسوريا ـ يا صاحب الجلالة ـ فماذا كان أسلوبك فى العمل ؟

● ٢ مليون جنيه قدمتها لعبد الحميد السراج ... **رشوة !**

● ملايين أخرى عرضتها اذا تسربت الى طائرة جمال عبد الناصر قنبلة صغيرة تنسفها بينما هى فى الجو ... **قتل !** .

رشوة وقتل يا صاحب الجلالة .

ثم نقفز الى سنة ١٩٦١ ..

كنت ضد بقاء الوحدة ـ يا صاحب الجلالة ـ فكيف كان أسلوبك فى العمل ؟..

● ٥ ملايين جنيه قدمتهـــا للملك حسين لكى يصرف منهـــا فى دمشق ... رشوة ..

● كان الاتفاق أن يتحرك حيدر الكزبرى بحرس البادية فى منتصف اغسطس من العام المـــاضى ليقتل جمـــال عبد الناصر الذى كان مقررا ذهابه وقتها الى دمشق لحضور أسبوع شباب الجامعات .

لـكن عناية الله ــ يا صاحب الجلالة ــ لعبت دورهـــا الخفى ، وتعطل جمال عبد الناصر عن الذهاب الى دمشق وقتها بسبب انشغاله فى التحضير لمؤتمر الدول غير المنحازة فى بلجراد ، ولقد قنعت على أى حال بتدبير قتل عبد الحكيم عامـــر بدلا من جمال عبد الناصر ، وكانت تصرفات حيدر الكزبرى رجلك فىدمشق عن طريق الملك حسين ، صباح يوم الانقلاب فى دمشق ، تصرفات قاتل مأجور على القتـــل ، لدرجة أنه أطلق مدافع مصفحاته من غير انذار على البيت الذى يسكنه عبد الحكيم عامر ظنا منه أن المشير داخله ، وكنت طوال يوم الانقلاب فى دمشق ، تنتظر فى الرياض على أحر من الجمر تســـأل مستشاريك كل لحظة : هل خلصوا من عبد الحكيم عامر أم ليس بعد ؟ !

قتل ... قتل يا صاحب الجلالة بعد الرشوة .

* * *

ويا صاحب الجلالة ، سوف يفشل كل الذى خططته ...

ان تجمعات الكراهية لا تكفى يا صاحب الجلالة ...

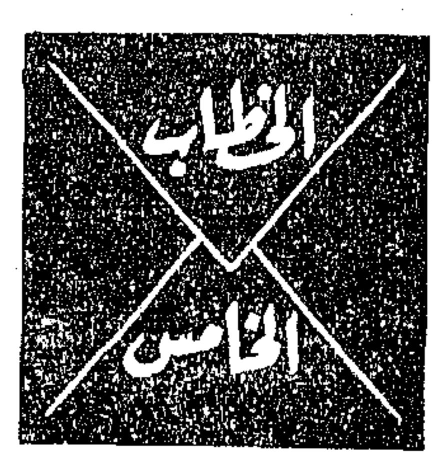
ويا صاحب الجلالة .. هذا زمان الشعوب .

والشعوب يا صاحب الجلالة لا تقتل ، ولا ترتشى .

وسلام عليك ــ يا صاحب الجلالة ــ وعلى من معك من الملوك ومن الجنرالات ومن الجوارى !.

لـكنه زمان الشعوب يا صاحب الجلالة هل تسمع ؟..

نقول : زمان الشـــعوب ! .



٩ فبراير ١٩٦٢

تسلية صيام ــ صور من حياة الملك فى أمريكا ــ كم تكلفت اقامته ــ فراء وجواهر ومسدسات وسيارات ذات نور أحمر ودروع لا ينفذ منها الرصاص !

ويا صاحب الجلالة ، هذا الحديث مرة أخرى اليك !.

واننا لنعلم ــ يا صــاحب الجلالة ــ أنك بدأت تضيق ذرعا بما نكتبه هنا موجها اليك ، وما ننشره من معلومات عن نشاطك فى أمريكا .

ولكن يا صاحب الجلالة ، ما بيدنا حيلة

فمن حق الناس ان يعرفوا ، والناس ، جماهير الناس ، وليس الملوك يا صاحب الجلالة ، هم اليوم صناع التاريخ ، ولا بد لهم من صورة كاملة لما يجرى حولهم حتى يكونوا من أمرهم على نور .

واننا لندرك ــ ياصاحب الجلالة ــ أن هذا شىء يصعب عليكم تصوره ، فان هذا الاختراع الانسانى العظيم ، الصحافة الحرة ، لم يدخل بعد الى بلادكم ، هذا مع انه ــ ياصاحب الجلالة ــ ونؤكد لك ، اقــدم بكثير من اختراع سيارات الكاديلاك على سبيل المثال ! .

ولقد كنا نتمنى أن تتاح لكم تجربة هذا الاختراع الانسانى العظيم فى بلادكم ، ولكننا نعرف ــ يا صاحب الجلالة ــ ان ما نتمناه لن يكون .

ان حكايتك ــ يا صاحب الجلالة ــ مع الصحافة الحرة ، كحكاية ذلك الفيلسوف الاغريقى مع الموت ، حين قال منذ آلاف السنين :

« اننا لانواجه الموت ابدا ، فحين يجىء لانكون ، وحين نكون لايجىء !» .

وكذلك حكايتك مع الصحافة الحرة .

انك لن تلتقى بها ابدا فى بلادك يا صاحب الجلالة

اذا جاء يومها يا صاحب الجلالة **فلن تكون أنت هناك** ، وما دمت انت هناك **فيومها لم يجىء بعد !**

ومع ذلك ، فلقد كنا نظن يا صــاحب الجلالة ، ان غضبك على ما ننشره هنا لن يصل الى هذا المدى الذى بلغه .

كنا نظن أن جلالتك ســوف تقدر ــ على الاقل ــ اننا لم نتعــرض لنشاطك فى أمريكا ، **الا بالقدر اللازم والضرورى لتوضيح فكرك السياسى .**

وقبل هذا ، وبعده ، ياصاحب الجلالة القينا الى الاهمــال بكثير من التفاصيل ترسم صورة دقيقة وكاملة لكل حياتك فى أمريكا .

وتخطىء يا صــاحب الجلالة ــ لو تصورت اننا لو كنا نعــرف كل التفاصيل لما ترددنا فى نشرها .

نعرفها ، يا صاحب الجلالة نعرفها وحياة رأسك ! .

وأن أردت دليلا . يا صـــاحب الجلالة ؛ فاسمع ؛ ولا تغضب ؛ ولا تتركنا وتهرول عائدا الى غرفتك كما تفعل عادة حين يستبد بك الغضب !.

* * *

هل تريد ــ يا صاحب الجلالة ــ أن نقول لك كم تكلفت أقامتك فى أمريكا ؟ .

اسمع ، يا صاحب الجلالة :

((أن اقامتك فى أمريكا تتكلف مائة الف دولار فى اليوم ! .

لقد حجزت نصف مستشفى بوسطن كله لك ، كما حجزت لحاشيتك الجزء الاكبر من فندق ((شيراتون بلازا)) اكبر فنادق بوسطن واجملها !.

فى المستشفى خصص الدور الاول كله للحريم الملكى

جناح كبير لكلواحدة من الزوجات وجناح بجانبه لوصيفاتها ،وقد كان لكل منهن اثنتان من الوصيفات . وغرفة مجاورة بعد ذلك لمرضة ، ثم غرفة كبيرة يسكنها عملاقان من العبيد للخدمة والحراسة .

وكان الدور الاول من المستشـــفى الضخم كله هـــكذا .. زوجات ووصيفات وممرضات وعبيد !

ثم كنت جلالتك فى الدور الثـــانى . وبجوار الاجنحة المتصـــلة التى خصصت لك ومن حولك العبيـــد . كان هنـــاك جناح خصص للشيـــخ سالم بن عيد ناظر الخاصة الملكية ، وجناح آخر بجانبه يسكنه خادم ناظر الخاصة وأحد ضباط الحرس ، ثم صالون كبير للاستقبال ، ثم مجمـــوعة من الغرف معدة لكل احتمال .

وفى كل دور خصصت ادارة المستشفى مطبخا كاملا حديثا ، ثم غرفة لصنع القهوة **واشعال البخور ! .**

●

وفى فنـــدق **((شيراتون بلازا))** . حجزت حاشيتك عشرين جناحا ، وخمس عشرة غرفة . أربعة أجنحة منها لأبنائك الامراء . عبد الله وسعد وتامر وسلطان .

واجنحة بعد ذلك لمجموعة غريبةمن الناس بينهم سفراؤك فى واشنطن ومدريد وبون وبينهم روبرت مارش مدير العلاقات العامة لشركة أرامكو فى واشنطن ، وبينهم أيضا السيد عبد العزيز العلونى مستشار السفارة السورية فى واشنطن وبينهم **عمالقة بالسيوف من العبيد ! .**

وأما الغرف فقد خصصت لحلاقك الخـــاص وخادمك الذى يتولى تقديم القهوة ، ولخـــدم الامراء ابنائك ، ولاثنـــين من موظفى سفارتك فى واشنطن كلفا بالمشـــتريات ، ولسكرتير من شركة ارامكو يتولى مشـــكلة الحسابات ولاثنين من المترجمين .

●

هـل تريد بعض التفاصيـل عن نفقات حياتك في أمريكا يا صاحب الجـلالة ؟ .

● كانت هنـاك عشر **من سـيارات الكاديلاك** مخصصـة للانتقال بـين المستشفى والفندق . وكان ايجار الواحـدة منها فى السـاعة ١٧ دولارا تشمـل أجر سائقها فيكون بند السيارات وحـده يتكلف يوميا ٤٠٧٠ دولارا .

● كان هناك **تليفون مفتوح** طوال اليوم بين المستشفى وبين الرياض

وكان استعمال التليفون يبدأ فى الصباح بالشيخ سالم بن عيد ناظر الخاصة الملكية يلقى بأوامرك للذين يتولون تنفيذها فى العاصمة السعودية .

ومن هذا التليفون صـدرت الاوامر **باحتجاز عمال الطباعة المصريين**

ومن هذا التليفون صدرت الاوامر **بوضع العراقيل امام الحجاج .**

ومن هذا التليفون صـدرت الاوامر **بالاستعداد لقطع العـلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة .**

ومن هذا التليفون صدرت الاوامر **الى الامراء السعوديين الذين كانوا فى القاهرة بان يغادروها الى غيرها .**

وبعد أن ينتهى ناظر الخاصـة ، يتعاقب على التليفون كل من يريد الاتصال بأحد فى السعودية حتى ينتهى الامر الى **صانع القهـوة الملكية ، يتصل بأسرته فى الرياض يسأل زوجته :**

ـ الساعة كام عندكم هالحين ؟ ـ أى الآن ـ ! .

ثم تشتد سعادته ، ويستبد به العجب ، حين يكتشف ان الوقت فى السعودية ليل ، بينما هو فى أمريكا نهار ! .

والتليفون يا صاحب الجلالة بين الرياض وبوسطن ، يتكلف ٢٥ دولارا كل ثلاث دقائق .

ولقد ذهب روبرت مارش مندوب شركة أرامكو الى ناظر الخاصـة يحاول اقناعه بضغط المكالمات مع الرياض ، فان فاتورة التليفون تصـل فى اليوم الواحد الى ٣٥٠٠ دولار لكن أحدا لم يستمع له .

● ثم **نفقات الاطباء ـ** يا صاحب الجلالة ـ ولقد بقى منهم بجانبك طوال الوقت أربعة ، ولو كانت بك حاجة اليهم لفهمنا ، لكن الاربعـة منذ اليوم الاول بعد الفحص الشامل أكدوا لك أن صحتك بخير والحمـد لله وأن ما أصاب معدتك ليس قرحه كما كنت تظن وانما هو مجرد التهاب فى الاغشية نتيجة لبعض **التوابل** التى يضعونها فى طعامك .

وكان الاربعة من كبار الاختصاصيين فى أمريكا وكان بقاؤهم طـول الوقت فى المستشفى مقابل أجر يومى مقداره ٢٥٠ دولارا لكل منهم ، **أى ١٠٠٠ دولار فى اليوم .**

ومع ذلك فلقد ذهبت جهود الاربعة هباء ، فان الطعام الذى كان يقدمه المستشفى لم يكن يروق أحد منكم .

واكتشف المستشار السورى عبد العزيز العلونى . ان فى بوسطن مطعما عربيا ، اسمه النيل ، يستطيع أن يصنع الحملان المشوية كل يوم ، وبدأ العبيد فى تهريب الصوانى الضخمة من مطعم النيل الى داخل الاجنحة عن طريق سلم الحريق الخلفى .

***

والمشتريات – يا صاحب الجلالة – واسمع نماذج منها ، لكى تعرف يا صاحب الجلالة – انه لم يبق خافيا شىء ! .

● اشترى الشيخ سالم بن عيد عشر سيارات كاديلاك موديل ١٩٦٢ طلب لها مواصفات خاصة هى أن يكون فى كل منها ، جهاز تسجيل ، وجهاز ادارة اسطوانات ، وجهاز ارسال واستقبال وتكييف هواء ، وصفارة وكشاف أحمر فوق كل منها ، وزجاج لايخترقه الرصاص وحين اقترح مندوب شركة كاديلاك بعد ذلك اضافة جهاز خاص يركب فى مقدمة السيارة ، لينفث سائلا يذيب الجليد وافق ناظر الخاصة على اضافة الجهاز فى كل سيارة ووصل الثمن الى ١٢٠ الف دولار .

ثم اشترى ناظر الخاصة بعد ذلك تسع سيارات من طراز كريزلر ثمنها ١٠٠ الف دولار . ثم أطقما من قطع الغيار والاطارات ثمنها ٩٥ الف دولار .

هذا بند السيارات

● وفى يوم آخر – يا صاحب الجلالة – **جاء الدور على الفراء**

هل تريد تحديدا اكثر ، لقد كان يوم الفراء هو يوم الثلاثاء ٥ ديسمبر الماضى ، وقد حضرت فى صباحه سيدة امريكية من أصل عربى اسمها مسز رزق واشترى ناظر الخاصة عشر قطع من الفراء ، هكذا بالجملة ، ثمنها ٥٠ الف دولار

ولقد حدث ان تسربت قصة الفراء – يا صاحب الجلالة – الى جريدة بوسطن هيرالد فنشرته يوم ٩ ديسمبر ، وثار ناظر الخاصة يا صاحب الجلالة وأمر احد المترجمين بالاتصال بالجريدة لتنشر تكذيبا للخبر ، لكن محرر الجريدة قال بهدوء :

– ان لدينا رقم الشيك الذى دفعتم به ثمن الفراء .

وطلب ناظر الخاصة الى المترجم ان يقول للمحرر :

– لكن الجو فى السعودية حار ، والفراء لايستخدم فى غير الجو البارد ، ولا يعقل ان يشترى الملك أشياء لا يمكن استعمالها .

وضحك محرر البوسطن هيرالد وقال :

– قولوها لانفسكم هذه الملاحظة ولا تقولوها لنا ! .

وانتهت المحادثة يا صاحب الجلالة .

هذا بند الفراء !

● وفى يوم آخر جاء الدور على المجوهرات ، يوم الخميس ٧ ديسمبر بالذات .

جاء روبرت مارش مندوب شركة أرامكو الى المستشفى ومعه ثلاثة من وكلاء اكبر محلات المجوهرات فى نيويورك .

ودخلوا جميعا جناح الشيخ سالم بن عيد ناظر الخاصة .
ورضوا مالديهم كله على سرير

وخرج الشيخ سالم بن عيد **وعاد بعد دقيقتين خلفك** ، خلفك أنت يا صاحب الجلالة ... **ورحت تختار .**

وبعد خمس دقائق خرجت .

ووقع ناظر الخاصة على فاتورة الثمن ، وكتب مندوب شركة أرامكو شيكا بالمبلغ ٣٢٠ الف دولار ! .

● ثم كان يوم المسدسات ـ يا صاحب الجلالة ـ وكل شىء له يوم ! .

شاهد الشيخ عبد العزيز الشنيطى ، مدير مكتب مراسلاتك ، مسدسا حديثا سريعا كاتما للاصوات ، معروضا فى أحد محلات بيع الاسلحة فى بوسطن .

وتفرج عليه ثم طلب ان يشترى ، **وفوجىء صاحب محل الاسلحة بأن الرجل الغريب ذا اللحية المدببة يريد أن يشترى ٢٥٠ مسدسا ، وقال له باستراابة :**

ـ اننى لا أستطيع أن ابيعك هذا العدد من المسدسات الا اذا كان معك تصريح من ادارة البوليس الامريكى ! .

وعاد الشيخ الشنيطى ، الى الشيخ عبد الله الخيال سفيرك فى واشنطن يطلب اليه الاتصال بالخارجية الامريكية ، لكى تتصل بالبوليس الامريكى ، لكى يصرح لتاجر الاسلحة ببيع ٢٥٠ مسدسا حديثا سريعا كاتما للاصوات لحاشية الملك .

وجاءت الموافقة ، وكان ثمن المسدس ٢٠٠ دولار ، وكان ثمن الصفقة كلها ٥٠ الف دولار ! .

* * *

ولقد روينا فى الاسبوع الماضى يا صاحب الجلالة ، تفاصيل ماقلته للذين جاءوا اليك من لندن ، والذين جاءوا اليك من واشنطن ، لكى يستمعوا الى ماتريد ان تقوله لهم وانت فى بوسطن .

واليوم ، يا صاحب الجلالة لو احببت ، نروى لك ما كنت تقوله ، وانت فى مجلسك الخاص مع ابنائك ومع حاشيتك

مجلسك الذى كنت تذهب اليه ، فى صالون الدور الثانى من مستشفى بوسطن ، بعد أن تستوفى قسطك من الراحة بعد الغداء .

مجلسك الذى كان يبدأ عادة من الرابعة بعد الظهر ويستمر الى السابعة او الثامنة فى المساء .

خذ مثلا جلسة مساء ٤ ديسمبر ! .

يومها ، يا صاحب الجلالة تغيرت لأول مرة لهجتك عن امام اليمن

كان لك وصف فيه لا نستطيع ان نطبعه . ويومها بعد برقية من الرياض حملت اليك قصيدة امام اليمن ضد الاشتراكية اصبح امام اليمن فجأة احد الابطال وانضم فى تقديرك الى مصاف **ملك الاردن وشاه ايران وقلت عنه يا صاحب الجلالة بالحرف :**

ـ هادا داهية نايمة ! .

وقال مندوب حكومة دمشق المرافق لحاشيتك . المستشار عبد العزيز العلونى :

ـ ان مصر لابد ستختلق مؤامرة ضد جلالتكم ـ طال عمركم ـ بطلها امام اليمن .

وقلت جلالتك ببساطة :

ـ لو كنت أريد أن اقتل عبد الناصر فعلا لكان اسهل الامور على ، ان اخوتى وابنائى الامراء كانوا يقابلونه كل يوم ، ولو كلفت احدا منهم ان يقتله فى مكتبه ما تردد ولاعتبر أمرى له شرفا يناله ! .

●

وايضا يا صاحب الجلالة خذ جلسة مساء ٥ ديسمبر

اثار المستشار السورى امامك أن السفارة السورية لم تستطع بعد أن تسترد بيتها الذى كان مقرها قبل الوحدة وان المصريين « سرجوه » قالها المستشار السورى بالجيم بدل القاف لتبدو لهجته نجدية وفاء لك يا صاحب الجلالة وولاء

ـ وقلت جلالتك :

ـ خذوا البيت بالقوة ! .

وقال سفيرك فى واشنطن عبد الله الخيال :

ـ لقد ذهبت ـ طال عمرك ـ مع العلونى الى وزارة الخارجية الامريكية وقدمنا شكوى نطلب فيها اعادة المبنى ، وقلنا لهم أن السفارة السعودية والسفارة الاردنية تقفان مع سفارة سوريا فى هذا الطلب لكنهم فى الخارجية قالوا لنا « ان المصريين والسوريين حين اتحدوا اتفقوا معا ، وحين انفصلوا انفصلوا معا ، وهذه مشكلتهم وليس لنا دخل بها ، ولو تدخلنا فانكم تعرفون أن حكومة القاهرة لاتسكت ! .

وقلت جلالتك وقتها نطقك الملكى السامى :

ـ « نحن معكم ، لحين ماتستولوا على ها المبنى » .

وقام المستشار السورى ، وقبل يدك يا صاحب الجلالة ، وابتسمت ابتسامة الرضا ! .

●

وليلة ١٨ ديسمبر يا صاحب الجلالة

بدأ الحديث ليلتها عن الجو فى بوسطن . ثم انتقل الى اسعار البترول فى الاسواق العالمية ، ثم بدأ الشيخ عبد الله الخيال سفيرك فى واشنطن ، **يروى لك قصة عن أربعة من الشبان المصريين ، قال لك ان حكومة القاهرة أوفدتهم فى بعثة الى سويسرا ليندربوا على أعمال البنوك وبعد ان انتهى تدريبهم اكتشفت حكومة سويسرا أن الهدف الحقيقى الذى جاءوا من أجله هو أن يطلعوا على الحسابات السرية الموجودة فى بنوك سويسرا تحت الارقام الرمزية .**

وقال المستشار السورى عبد العزيز العلونى ، بادى التأثر :

ــ أشهد ان لا اله الا الله .. هل يمكن ان يكون هناك ضلال ابعد من هذا ، لماذا يريدون معرفة اسرار حسابات الملوك والامراء !

وقلت جلالتك :

ــ الخطأ خطأ الحكومة السويسرية والبنوك السويسرية التى صدقت المصريين وآمنت لهم ! .

ثم أشرت جلالتك ، أن يجرى اتصال بحكومة سويسرا لتحذيرها من تسلل المصريين الى بنوكها ! .

●

ثم ليلة جاء اقتراحك يا صاحب الجلالة بأن تقابل الرئيس الامريكى جون كيندى ، ليلتها ــ يا صاحب الجلالة ــ ليلة ٢٠ ديسمبر قلت :

ــ من غير المعقول ان اجىء الى أمريكا ولا اقابل كيندى .

وطلبت من سفيرك الخيال ان يتصل بالخارجية الامريكية ، وقلت له جلالتك :

ــ قل لهم اننى أريد أن اقابل كيندى ... يزورنى وأزوره

واستطردت جلالتك تقول لمن حولك :

ــ أنا أريد ان اقابل كيندى لسبب آخر يختلف عن الاسباب التى يريد غيرى أن يقابله لها ! .

انا لن اطلب قرضا أو اعانة ، **ولكن كيندى من الحزب الديمقراطى الذى كان ينتمى اليه المرحوم روزفلت ، وكان روزفلت والمرحوم الملك عبد العزيز على اتفاق بينهما وأنا أريد أن أجدد العهد الذى كان بين أبى وبين سلفه .**

وقلت جلالتك :

ـ انني أريد أن أشرح لكيندى من هم الخونة فى الشرق الاوسط ومن هم الشيوعيون وأريد أن أبصره بأصحاب المصالح فى البلاد العربية .

واذا كان كيندى يريد أن يبني سياسته على اساس من الثقة فى زعماء الشرق الاوسط فعبد الناصر آخر من يوثق فيه .

ان عبد الناصر سوف ينهار وما نعرفه من اخبـــار مصر يؤكد لنا هـــذا .

واستطردت جلالتك :

ـ ان كيندى رجل مدنى يفهم المدنيين وليس مثل سابقه ايزنهاور الذى أرسل لعبد الناصر مسدسا .

ثم أضفت جلالتك :

ـ ان المصريين فراعنة والعرب عرب .

ووجدها المستشار السورى فرصة ليبدى رأيه فقال لجلالتك :

ـ ان مقابلتكم ـ طال عمركم ـ للرئيس كيندى سوف تساعده على وضع سياسة مستقبلة للعالم العربى ، وأن طويل العمر هو خير من يمثل العرب اليوم ولا يمكن ان يمثلهم عساكر مصر ! .

ثم كانت ابتسامة الرضا يا صاحب الجلالة وقمت من مجلسك قاصدا الدور الاول حيث أجنحة الحريم ! .

* * *

وهل بقى شىء الآن ـ يا صـــاحب الجلالة ـ مما فعلته أو قلته فى أمريكا ، تريد أن نرويه لك ؟

ما بقى يا صاحب الجلالة نتحرج عنه .

ما بقى يا صاحب الجـــلالة ـ من تصرفاتك وتصرفات الحاشيـــة لا نستطيع ان نخوض فى تفاصيله ! .

ما بقى ـ يا صاحب الجلالة ـ يشرحه موقف الراهبـــة التى كانت مكلفة بالاشراف على التمريض فى المستشفى الذى حللتم به فى بوسطن .

لقد ذهبت هذه الراهبة الى مدير المستشفى تقول له :

ـ لقد مرضت أنا من هذا الذى أراه كله ، واطلب اعفائى من اى شىء له علاقة بالادوار التى ينزل فيها الملك وحاشيته ! .

وحين روت الراهبة لمدير المستشفى طرفا مما رأته قال لها :

ـ ان دينهم الاسلامى يسمح لهم بهذا كله ...

وقالت الراهبة :

ـ لكنى لست مسلمة ... ويكفينى ما رأيت ! .

●

ثم نقول لك مرة أخرى :

« ويا حامى الحرمين ليتك بقيت فى بلدك لم تفادره ! .

اذن لوفرت لشعبك هـذه العشرات من ملايين الدولارات التى تكلفتها رحلتك .

واذن لوفرت على العرب والاسلام هذه القصص المضحكة المبكية التى نشرتها على الدنيا »

ويعزينا على أى حال ـ يا صاحب الجلالة ـ أن شعبك فى جميع الظروف محروم من الدولارات كلها ، سـواء بقيت فى بلدك أو غادرته الى غيره من البلدان .

ويعزينا كذلك يا صاحب الجلالة ـ أن مصير العرب والاسلام لا يرتبط بما تقوله أو تفعله .

●

لكنك ـ ياصاحب الجلالة ـ أضعت علينا أيضا فراغ هذه الصفحة ، ولقد كنا نستطيع أن نملأه ، بما هو أجدى وأبقى . على اننا ـ ياصاحب الجلالة ـ فى رمضان ، ولسنا مثلك على سفر فى فلوريدا ! .

واذن نعتبرها تسلية صيـام تبرعت لنا بها ! .

وشكرا يا طويل العمر ! ! .



٢٠ نوفمبر ١٩٦٢

وداعاً يا صاحب الجلالة

وداعا ياصاحب الجـــلالة

وداعا يا صاحب الجلالة ، لقد بلغ الشوط مداه . ويوشك الستار أمام عيوننا الآن ، أن ينزل على الفصل الثالث والاخير من القصة العجيبة التى كان لك دور البطولة فيها والتى كان مسرحها هذا الشرق العربى كله .

قصـــة **عجيبة** ، ولا نجد لها وصفا آخر ـ يا صاحب الجلالة ـ لك ، وانصافا للحقيقة ، وانصافا لمعانى الكلمات ان تفقد قيمتها .

ومن غير مبالغة فاننا نستطيع أن نطلق على الفصل الاول فيها: وصف **الطامع !** والفصل الثانى : **المتآمر !**

وأما الفصل الثالث والأخير فأقرب عنوان له : **المقاتل !**

الفصـــــل الأول

وفى دور « الطامع » ـ يا صاحب الجلالة ـ كان والدك حتى قبل أن تتولى أنت الملك ، أول من رأى بوادر المأساة على الأفق الشرقى للمملكة وكان يقول :

ـ هذا النفط الكثير الذى يتحول فى أيدينا الى ذهب ، سوف يعود الى أصله اذا لم نحسن استعماله ، ان أصله من النار ، وأخشى أن يحترق آل سعود بلهيبه يوما اذا نسوا !

لكن الرجل العجوز لم تتح له الفرصـــــة طويلا ليواجه التجربة .. تجربة النفط الكثير الذى يتحول فى أيدى آل سعود الى ذهب .

ثم توليت أنت بعده مملكة الصحراء والنفط **بمرتب سنوى خالص قدره خمســــون مليون جنيه استرلينى فى السنة ، لا تدخل فيها حتى تكاليف بناء القصـــور ، أو حتى مرتبات الأمراء من أخوتك أو أبنائك ، وانما خمسون مليون جنيه استرلينى ، خالصة صافية ، لا يسائلك فيها أحد .. لا برلمان ولا مصلحة ضرائب !**

ولقد دار رأسك لكن كثيرين كانوا يرون عذرك ويقولون :

« انه فى هذا مجنى عليه أكثر منه جانيا .

ثم لعل النصح الخالص هنا ان ينفعه حتى يفيق ممـــــا اعتراه من دوار »

وفى ذلك الوقت ـ يا صاحب الجلالة ـ جئت الى القاهرة فى أول زيارة رسمية لك بعد الملك فى ربيع سنة ١٩٥٤ ٠

وكانت فى مصر بداية ثورة ، لكن بداية الثـــورة لم تكن شاغلك ، وانما نهاية العهد الذى سبق الثورة كانت تشد أحلامك ٠

تذكر يا صاحب الجلالة ٠

فى قصر عابدين يومها كان هنـــاك استقبال رسمى ، ونزلت تنتظر الضيوف فى قاعة العرش القديمة ٠٠٠ قاعة عرش ملك خلعوه قبل عامين من زيارتك ٠٠٠ ثم سألت كبير الأمناء :

ـ أين أقف لأسلم على الناس ؟

وقال كبير الأمناء :

ـ هنا ، يا صاحب الجلالة ٠ تحت هذه النجفة الكبيرة !

ورفعت رأسك الى النجفة الضخمة الهائلة ٠٠٠ النازلة بالبريق على القاعة المهيبة ، ثم سألت :

ـ هكذا التقاليد ؟

وقال كبير الأمناء لك :

ـ نعم يا صاحب الجلالة ٠٠ ان الملك طبقا للبروتوكول ، يقف وسط قاعة العرش ، تحت النجفة الكبيرة وسط دائرة الضوء ثم يتقـــدم اليه الجميع ٠٠ يلمسون يده سلاما ثم يمضون ٠

يومها التفت ـ يا صاحب الجلالة ـ ولعلك لا تكون قد نسيت ، الى كبير المسئولين فى حاشيتك وقلت :

ـ لابد لنا فى الرياض من نجفة مثل هذه !

والباقى كان منطقيا ٠٠٠ **النجفة تحتاج الى قاعة عرش تتدلى منها ، وقاعة العـرش تحتاج الى قصر ، وفى ظروفك مع الحريم والمحظيات فان القصر الواحد لا يكفى ، واذن لابد من قصور ، ومن هـــذه البداية كانت قصور الناصرية التى تكلف بناؤها وتأثيثها عشرات الملايين ٠٠٠**

وكانت البداية يا صاحب الجلالة **نجفـة** ٠٠٠ فى قصر عابدين فى القاهرة ٠٠

ولعلك يا صاحب الجلالة أن تذكر طلبك ، قبل أن تسافر من حكومة مصر الثورية ، ولقد سمعت الحكومة طلبك وأجابتك اليه فى دهشة :

طلبت يا صـاحب الجلالة ، نسخة من كتاب « البروتوكول » الذى ألفه كبير أمناء الملك السابق السيد عبد اللطيف طلعت ، وقالوا لك يومها :

ـ خذ كل نسخ الكتاب المطبوعة يا صاحب الجلالة ، فمـــا بقيت بنا حاجة اليها !

وسألت ـ يا صاحب الجلالة ـ :

ـ هل أستطيع أن آخذ معى أحد تشريفاتية القصر القدامى ؟

وقيل لك :

ـ تفضل ـ يا صاحب الجلالة ـ خذهم جميعا لو أردت .

وكانت فرحتك ملء الأرض يا صاحب الجلالة وأنت تغادر القاهرة ، معك الكتاب وفى معيتك بعض التشريفاتية .

ولم ييأس منك كل الذين سمعوك يومها ، وانما بعضهم ظلت فيه من حسن الظن بقية وقالوا : نوبة وتنتهى ... لكن الرجل طيب ... ولو أتيح له أن يرى النور لمشى وراءه ، ثم هو بكراهيته للهاشميين قد يكون قادرا على المشاركة فى المعركة ضد حلف بغداد ... **وليس يهمنا أن تخالف أهدافه فى الحرب أهدافنا ... ليس يهم أنه يرى المسألة قبلية وعصبية واننا نراها مصير بلاد وشعوب وقضية استقلال وحرية !**

●

لكن المطامع فى رأسك كانت تزيد ..

وزادت فى السياسة ... كما زادت فى القصور ... على نفس طريقة النجفة ، وقاعة عرش للنجفة ، وقصر لقاعة العرش ، وقصور للحريم حول القصر .

لقد أردت يومها ـ يا صاحب الجلالة ـ وأنت واقف ـ وجاهة ومهابة ـ فى صدر الصف العربى المتحرر أن تحدد حركته وأن تقيد خطاه !

ولقد كان الخلاف فى ذلك الوقت يتلخص فى سؤال :

« هل الصف العربى الواحد للنضال المستمر وللكفاح ... أم هو للوقوف تحت نجفة فى قاعة عرش ، فى قصر ، تحف به قصور ؟

وبعد تأميم قناة السويس جاء مفترق الطرق !

وبصرف النظر عن البيانات الرسمية وعن البلاغات ، فأنت تذكر يا صاحب الجلالة ما حدث فى اجتماع الدمام سنة ١٩٥٦ فى أعقاب تأميم قناة السويس وقبل العدوان ..

كنت جلالتك غاضبا من عملية تأميم قناة السويس ..

أولا ــ لأنها تمت بغير علمك !

ثانيا ــ لأنها أثارت على الحركة القومية العربية عداوة الغرب بطريقة لم تعد تقبل الرجوع .

ثالثا ــ لأنهم قالوا لك انها خطوة تهدد منابع البترول ..

كذلك قلت ـ يا صاحب الجلالة ـ بالحرف خلال اجتماعات الدمام :

وانتهى الاجتماع ، وقد افترقت الطرق من غير خلاف ، وأقول لك — يا صاحب الجلالة — الآن ، وما بى من حاجة أن أقولها لو لم تكن الصدق كاملا : **ان أحدا فى مصر لم ينتقد عليك مخاوفك وقتها ، لقد كان أقصى ما قالوه هنا بعدها : « الرجل معذور ، والمرحلة شاقة عليه ، وليس لنا أن نحمله فوق ما يحتمل ، ولكن لا نقيد أنفسنا بقدرته ، نمشى نحن فى طريقنا وله أن يقرر لنفســـه الى أى مدى يتبعنا أو عنـــد أى نقطة يقف وينفض يده » ٠**

الفصـل الثـانى

لكن دور « **الطامع** » فى الفصل الأول ، دخل بك الى دور « **المتآمر** » فى الفصل الثانى ولقد ضحكوا عليك — يا صاحب الجلالة — بعد العدوان ، فى سنة ١٩٥٧ ٠٠

ضحكوا عليك واستعملوك فى محاولة عزل مصر التى رسمها جون فوستر دالاس وملأوا رأسك بالأوهام ٠٠

كانوا لا يعرفون من أمر بلادنا الا مثل ما يعرفه السائح الغـريب الذى يدخل خان الخليلى لأول مرة ويتصور أن فيه حدود الشرق وأبعاده وأعماقه ٠

كانت فكرة « دالاس » أن يجعل منك « **بابا** » للاســلام يجلس فى مكة كبابوية الفاتيكان فى قلب روما تدين لها المسيحية كلهـــا بالولاء والطاعة ٠٠

ولم يكن دالاس فى هــذا جاهلا بالشرق العربى فقط ، وانما كان جهله بالاسلام أفدح وأدهى ٠

وضغطوا يومها فى واشنطن على الأمير عبد الاله ولى عهد العراق لكى يزورك تأكيدا لدورك وهنا — يا صاحب الجلالة — لابد أن نقول لك انك خدعت نفسك أيضا كما خدعوك ٠

كيف تصورت أن تكون لك قيـــادة الشرق العربى نحو التقدم ، والتقدم هو الحركة الحتمية للبشرية ، هنا فى الشرق العربى ، أو فى أى مكان على هذه الدنيا ٠

كان منظرك فى قيـــادة الشرق العربى ، مضحكا ٠٠٠ **ولا تغضب يا صاحب الجلالة**

كان تصديك لقيـــادة التقدم فى الشرق العربى ، صورة أخرى لمحاولتك فى ذلك الوقت تماما ان تبنى حوض سباحة فى البحر الاحمر بجوار قصرك فى جدة ٠

كان المشروع الذى وضعه لك مهندس ألمانى عبقرى يقضى بأن يقام

حوض من البللور فى نصف دائرة حول الشاطىء بجانب القصر وأن يضاء من الاعماق بأضواء باهرة لكى تسبح فى البحر على الطبيعة ومن حـولك خارج السور البللورى الحصين ، ترى الاسماك الملونة وشعاب المرجان ٠٠٠ وحتى وحوش البحر الضارية وأنت منها فى أمان ٠٠ تستمتع بالصورة الرائعة من غير خطر !

هل تصورت نفسك ـ يا صــاحب الجلالة ـ بنظارتك السميكة ، ولحيتك ، ترتدى لباس بحر ، وتسبح ومن حولك الحوريات فى ميـاه البحر الاحمر قرب الأسماك الملونة وشعاب المرجان ٠٠٠ والوحوش !!

حتى هذه اللحظة ، ومن غير اهانة لك ، لا أستطيع أن أتخيلك فى هذه الصورة يا صاحب الجلالة ، بنفس المقدار ، ومن غير اهانة لك ، الذى لا أستطيع أن أتخيلك فيه تقود التقدم فى الشرق العربى !

ومضت مشاهد فصل « التآمر » طوال سـنوات ١٩٥٧ و ١٩٥٨ و ١٩٥٩ :

● كان الانقـلاب على الحكم الوطنى فى الأردن ، شركة بينك وبين ادارة المخابرات المركزية الامريكية ٠

● ثم كانت محاولتك للضغط على حكومة سوريا المقطوعة الأنفاس لكى تتخلص وتخلصك من مجموعة الضباط الوطنيين فى الجيش السورى وقتها ٠

● ثم كانت شــــيكاتك لعبد الحميد السراج ، بمليونى جنيـــه استرلينى لكى ينقلب على ارادة الشـــعب السورى فى الوحدة ويضع قنبلة فى طائرة جمال عبد الناصر ٠

وانكشف دور **المتآمر**

ورأتك الأمة العربية كلها **عاريا** ، لا يسترك حتى لباس بحر تغطس به فى حوض البللور فى البحر الأحمـــر ... **هذا الذى كانت تكاليفه ـ بالمناسبة ـ مقدرة بستة ملايين دولار !**

وتذكر ـ يا صاحب الجلالة ـ ان القاهرة فى ذلك الوقت ٠ رفضت ان تصوب اليك وأنت واقف أمامها **عاريا** ، **وفى العراء** ، سهما يصيبك فى الصميم ٠

كانت القاهرة مشغولة عن الانتقام منك بالحوافز الايجـــابية التى صنعتها **تجربة الوحدة الأولى٠**

ثم زادت انشغالا عنك **بالثورة فى العراق** ٠

ثم نسيتك تماما بالخطر الذى كاد يطبق أحمر بلون الدم زاحفا من الموصل وكركوك الى بغداد نفسها ٠

ومع النسيان استعدت بعض قواك ٠

وزحفت ، وأصر على الكلمة يا صاحب الجـــلالة ، زحفت عائدا الى القاهرة ٠

وسمحت لك القاهرة بالعودة ، برغم معارضة عنيفة ثارت من حول القاهرة بسبب رضاها بعودتك ٠

وكانت وجهة نظر القاهرة فى رضاها بعودتك مستمدة من الأوضاع فى الشرق العربى عموما خصوصا بعد نكسة العراق ٠

ان نكسة العراق أثبتت ان الفارق كبير بين الانقلاب وبين الثورة ٠
لا يكفى ان ننقض انقلابا على القديم البالى يا صاحب الجلالة ٠
وانما لابد أن تكون الارض ممهدة لاستقبال الجديد نابتا من التربة الوطنية ذاتها ٠

وفى ايمان القاهرة بالثورة ، لم يكن فى المصلحة العربية ـ يومها ـ حصارك فى السعـــودية ، والتشديد عليك حتى تميد الارض من تحتــك والسلام ، وانما لابد قبل أن تميد الارض بالتغيير ان تكون هناك القوى الوطنية القادرة على ان تمد يدها للامساك بزمام المسئولية وقيادة العمل الوطنى الى غاياته القومية لا الى متاهات المغامرة والجنون !

وجئت الى القاهرة يا صاحب الجلالة ولعلك تذكر ما حدث :

استقبلك جمال عبد الناصر فى المطار ونزلت من الطائرة تقبله وكأن لم يحدث شيء ووقف هو ســاكتا تركك تفعل ما تشاء ويومها حرص « الأهرام » ان ينشر الصورة من جانبيها ٠ جانب تقبل فيه عبد الناصر ، وجانب آخر وعبد الناصر فيه لا يرد القبلة وانما يقف ساكتا مستسلما

ولقد لاحظتها يا صاحب الجلالة لم تفت عليك ، وجاءنى بالعتــاب يومها مستشارك الشيخ يوسف ياسين يرحمه الله ومعه رسالة منك بالآية الكريمة « عفا الله عما سلف » !

وتذكر ماذا حدث بينك وبين عبد الناصر ليلتها يا صـاحب الجلالة :

كان هناك عشاء ٠٠٠ وجاء عبد الناصر يقول لك :

ـ قبل العشاء لابد لى من كلمة معك على انفراد أنت وأنا !

ودخلتما وحدكما مكتبا فى قصر القبة وخارجه وقف الأمراء والوزراء ورجال الدولة ينتظرون وفى احساسهم انهم يرون مشهدا مشـــحونا بالانفعالات

هل تذكر ما حدث ـ يا صاحب الجلالة ـ ؟

ما كاد الباب يرتد وراءكما حتى بدأت ـ يا صاحب الجلالة ترتجف ومشيت الى مقعد تجلس فيه أمامه وخطاك تتعثر

وقال لك جمال عبد الناصر على الفور :

ـ أننى لا أقصد ان أعاتبك على ما فعلته لكنى لا أرضى أن أبدأ معك من جديد الا اذا قلت لك ما بقلبى

وقلت أنت ـ يا صاحب الجلالة ـ على الفور :

ـ أقسم لك بالطلاق ...

ولمحت يا صاحب الجلالة شعاع ابتسامة في عينيه وفهمت فقلت :

ـ أقسم بالطلاق من جميع زوجاتي أنه لم يكن قصدي ان أقتلك .

انني دفعت مليوني جنيه لعبد الحميد السراج لأني سمعت أن خزينة سوريا خاوية وأردت مســاعدتها وقد يكون الوسطاء هم الذين شوهوا مقصدي .

وقال لك جمال عبد الناصر :

ـ أرجوك ، لا تقســـم بالطلاق ، فأنا أكره هذا القسم . وأنا أعتز بروابط الأسرة ولا أرضى تعريضها لما لا ينبغي أن تتعرض له

وقاطعته ـ يا صاحب الجلالة ـ :

ـ اذن أقسم لك بالله العلي العظيم ...

وأشار لك جمال عبد الناصر بيده لتتوقف عن الأيمان المغلظة :

ـ لا حاجة بك الى القسم وليس هدفي على أي حال ان أحاسبك على ما جرى أو حتى أعاتبك .

انني أريدك أن تعرف أنني نسيت كل ما حدث وانتهى أمره بالنسبة لي ، والله وحده هو الذي يملك الحقيقة وهو الذي يملك الحساب .

وليس قصدي أن أحدثك عمـــا فعلت أنت لكنني أريدك أن تعرف موقفنا .

لقد سمعت أنك قلت في تبريرك لما حدث اننا كنا نتآمـــر عليك ، وأنك بما فعلته كنت ترد على مؤامرات القاهرة .

وأحب أن أذكر لك ـ من غير قسم ـ ان القاهرة لم تتآمر عليك .

أنت تتصور أنك غني قادر ، ولكنني أريدك أن تذكر أن مصر أغنى منك بكثير

ان دخلك من البترول ٢٠٠ مليون جنيه سنويا

والدخل القومي في مصر يقرب من ٢٠٠٠ مليون جنيه سنويا

واذا استطعت أن تصرف في مؤامرة ضـــد مصر مليوني جنيه فان مصر لو أرادت قادرة على ان تصرف ضدك في مقابلها ٢٠ مليونا

لكن أؤكد لك أن ذلك ليس هدفنا ... وليست تلك سياستنا

وعندما أختلف معك فليس أسلوبي أن أبعث اليك من يقتلك ،وانما أنا أقف أمام الميكروفون ، من غير تردد ، وأقول رأيي لا أخفيه

أما التآمر فى السر فليست بنا حاجة اليه

أؤكد لك انى لم أصرف ضدك قرشا واحدا ... ولا أنوى ان أصرف ضدك قرشا واحدا .

ان شعب مصر يحتاج فى بناء نفسه الى كل قرش

وشعب بلادك يحتاج فى بناء نفسه الى كل قرش

لقد أردت فقط أن أقول لك هذه الحقيقة حتى لا تستمع الى الذين يريدون تضليلك ، ويجعلون من هذا التضليل تجـــــارة ، وكذلك حتى لا تنصاع الى الذين يريدون استغلالك ضد أمانى شعبك »

ثم نهض جمال عبد الناصر واقفا

ووقفت أنت لا تصدق ـ يا صاحب الجلالة ـ ان الحديث قد انتهى بهذه البساطة ، واندفعت نحوه تقبله ، وتعثرت فى عباءتك وكدت تقع، واستندت اليه ورحت تضع قبلاتك على كتفه وعلى صدره !

الفصل الثالث

ثم جاء الفصل الثالث ـ يا صاحب الجلالة ـ ، وانه ليحتاج الى طبيب نفسى يشرحه ويحلل الخلجات فيه قبل الحركات .

كان دور الطامع قد أسلم نفسه لدور المتآمر

وكان الصفح لم يمسح الحقد من قلب المتآمر وانما زاده غلا ، لكنك ـ يا صاحب الجلالة ـ كنت تنتظر ...

كنت تريد أن تضرب ... لكنـــك تريد ضربة قاتلة لا تجعلك مرة أخرى تقف موقف العتاب !

وقبعت ... تتظاهر ... وتتربص !

وجاءتك الظروف بأكثر مما كنت تحلم به

طلب منك حسين مالا يصرفه فى سوريا ، ولم تكن تظن الأمر سهلا ، لكنك دفعت فيما بدا لك أول الأمر وكأنه مقامرة غير مضمونة النتائج ، وحرصت على أن تدفع لحسين وتبقى أنت بعيدا مئات الأميال عن أى خطة .

ووقعت المعجزة... استطاعت سبعة ملايين من الجنيهات الاسترلينية دفعتها جلالتك أن تصنع انقلابا فى سوريا .

لقد تعدت النتيجة قصارى ما كنت تحلم به .

وأدركت للوهلة الأولى ان فرصة العمر وافتك .

وخرجت على الفور لدور المقاتل ، تظن أنه لم يبق من عدوك ، الذى لم يعتبرك يوما عدوه ، الا ساعات تكفى بالكاد لكى توجه أنت له ، وبيدك الكريمة ـ ! ـ طعنة الموت ، ثم يركع الشرق العربى كله مستسلما أمامك . يلثم طرف عباءتك طاعة وولاء

ودور « المقاتل » مازال حيا أمامنا

لقد أثرتها حربا شاملة يا صاحب الجلالة :

بالمال يشترى الصحف ، ويشترى الاذاعات ، ويشترى الحكومات

بالمال يشترى القتلة ، ويشترى الخونة ، ويشترى المنافقين الذين يضعون فوق رؤوسهم أكبر العمائم وعلى ألسنتهم فتاوى الضلال تحاول استعمال الدين ضد طبيعته لعرقلة التقدم .

●

وخسرت ـ يا صاحب الجلالة ـ وكان لابد أن تخسر

لم يهزمك جمال عبد الناصر ـ يا صاحب الجلالة ـ ، وانما هزمك التقدم الذى حاولت ان تعرقله ، ان التقدم ـ يا صاحب الجلالة ـ هو حركة التاريخ وحركة الطبيعة ...

هو حركة الانسانية كلها

ولا تستطيع ، ولا يستطيع فرد مهما امتلأت خزائنه أن يتصدى للتاريخ والطبيعة والانسانية

لكن الرائع فى هزيمتك كان ميدانها !

ان « التقدم » الذى ألحق الهزيمة بك أراد أن يسخر منك فى الوقت ذاته فاختار ميدانا لصراعه معك بلدا عربيا كان يبدو نموذجا للتخلف والتأخر

فى صنعاء ـ يا صاحب الجلالة ـ حيث لم تكن تتوقع أو تنتظر ، كانت نهاية دور المقاتل بالنسبة لك !

ما ان قامت الثورة وراء ظهرك فى اليمن حتى رحت غاضبا تهدد بسحقها فى ساعات !

ورحت تحشد فى نجران أشكالا وألوانا من الناس والأسلحة

ورحت تدفع فى كل مكان ولقد دفعت حتى الآن يا صاحب الجلالة ما يتجاوز الخمسين مليونا من الجنيهات ... لقد كانت أحقادك فرصة لمن يريد يا صاحب الجلالة ، حتى ان الملك حسين أقنعك انه سوف يؤجر لك جيشه كله بطيرانه الانجليزى الحديث .

ثم رحت تحرض ـ يا صاحب الجلالة ـ لم تترك أحدا الا حرضته ... كل خائف ضعيف ، وكل طامع مستعمر

واستطاع التحريض ان يضع تحت تصرفك قوة كبيرة رحت تضغط بها ... حكومات غربية كبرى ، شركات بترول واسعة النفوذ طائلة الغنى ، مجموعات من مؤسسات العلاقات العامة تستخدمها فى أمريكا .

ولم يكن فى طاقة الذين تصدوا لك أن يحشدوا مثل ما حشدت أو يدفعوا مثل ما دفعت أو يحرضوا كما حرضت .. **ولم تكن بهم الى شىء من ذلك كله حاجة**

كان التاريخ معهم ... والطبيعة والانسانية

ولم تكن قواتهم مرتزقة ... وانما كانت قوات **للحق** ... وللنصر الحتمى مهما طال القتال !

●

ولقد انهرت يا صاحب الجلالة ولم تستطع فى اللحظة الحرجة **ان تقف كما يقف المقاتل القوى !**

يوم جاء الطيارون السعوديون الأحرار بطائراتهم الى القاهرة دخلت قصرك وأمرت بمن تثق بهم من حرسك الابيض أن يحيطوك بالمدافع ورحت تجرى فى القاعات الفسيحة الضخمة مذعورا خائفا ولربما عبرت فى حيرتك المهوفة تحت النجفة الكبيرة فى قاعة العرش وسط القصر الذى تحيط به قصور ، لكنك لم تلحظها ولا هى رأتك !

لقد كانت مخاوفك تملأ عينيك ، وكانت هى مطفأة بلا أضواء باهرة ولا بريق !

... ثم انتهيت الى فراشك طالبا الأطباء وما بك من مرض وقتها ، ثم كنت تهرع من الفراش تطمئن الى أن المدافع مازالت حول القصر لم تتحرك من مكانها !

وقضيت ليالى بلا نوم ـ يا صاحب الجلالة ـ تصيخ السمع للصمت فى الظلام تتصور أنهم يقتربون منك ليأخذوك ... من هم يا صاحب الجلالة ؟!

وجاءك بعض الأمراء يزورونك وقلت لهم ، **وأنت على** الفراش :

ـ أنا لست خائفا من شىء ، ان هذه المدن ، جدة والرياض ومكة والمدينة هى مكمن الخطر بسبب المتعلمين لكن أنذروهم . اذا تحرك أحد فيها بالثورة ضدى فسوف أترك القبائل تزحف عليها لنهبها !

وفى زيارتهم هذه أقنعوك بأن تتنحى وأن تترك لفيصل كل شىء وأن تستدعيه من الأمم المتحدة ، وهو كفيل بأن يدبر أمره مع المشكلات وأهم من المشكلات مع الولايات المتحدة الامريكية لانقاذ ما يمكن انقاذه .

وقبلت ، يا صاحب الجلالة لكنه كان لك مطلبان :

أولهما : ان يحتفل بعيد جلوسك احتفالا لم يسبق له مثيل حتى لا يقول الناس انك **تنازلت !**

وثانيهما : ان يبدأ فيصل عمله بقطع العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة حتى لا يقول الناس انه يريد صلحا فوق كيانك المحطم !

＊ ＊ ＊

وهل تعرف يا صاحب الجلالة مايجـــرى الآن فى قصـــورك ؟

● الحقيقة الأولى فيما يجرى الآن فى قصورك ـ يا صـــاحب الجلالة ... **أنك لم تعد ملكا**

ربما ما زال لك اسم الملك .. لكنه لم يعد لك من سلطة الملك شيء

مشكلتهم الآن فيما يتعلق بك أن يجدوا لك مكانا وســـط أبهة النسيان .

ان قسوة الحياة على المهزوم ـ يا صاحب الجلالة ـ مخيفة !

● **وحتى أصحابك اليوم لا يرحمونك فى قسوتهم**

الحـــكومة الأمريكية تريد فيصل ملكا ، وبعض الأفراد من الأسرة يريدون الامير خالد بن عبد العزيز ـ ملكا ويقولون ان صلاته بالبدو طيبة وأنه ظل حياته كلها بعيدا عن الفضائح ، وشركة أرامكو تريد أحد أبنـاء فيصل الذين تعلموا فى أمريكا ملكا

● **والديبلوماسيون فى جدة ـ يا صاحب الجلالة ـ هل تعلم ما هو حديثهم ؟**

حديثهم الآن سؤال :

ـ الى متى الملك فى السعودية أصلا ... ان المشكلة الكبرى الآن هى الفراغ الذى يحدث اذا ماتغيرت الأحوال !

حديثهم يا صاحب الجلالة هو مصير المملكة كلها اذا حدث شيء وهم يقولون ان قيادة أى ثورة مقبلة لابد أن تجد نظاما يكفل وحدة نجد والحجاز ويواجه محاولات شركة أرامكو لاحتلال المقاطعة الشرقية بقسوة السلاح الأمريكى التابع فى قاعدة الظهران وتنصيب بن جلوى حاكمها الملوث بالدم ملكا عليها . كنموذج آخر لكاتنجا !

● **وحديث شعبك نفسه ـ يا صاحب الجلالة ـ هل تعرف عنه شيئا ؟**

ان الجمعيات السرية الوطنية الآن فى كل مدرسة ، فى كل بيت فى كل وحدة جيش ... وحديثهم كله عن الثورة وعن الخلاص .

● حتى أقرب الناس اليك ـ يا صاحب الجلالة ـ

الأمراء والزوجات ... وحتى الجـوارى ، لا هم لهم جميعا الا تهريب كل ما تصل ايديهم اليه ... خارج المملكة استعدادا للنهاية .

● والحكومة ، قصارى جهدها يا صـــاحب الجلالة ان تتمســـح الآن بالاشتراكية التى كنت تهاجمها ، انها الآن تحاول ان تغطى مخازى العهد كله وراء قرارات تحرير العبيد ومحاولات التطوير .

● حتى الملك حسين ... هل تعرف الآن ما يراود خواطره ؟ .. عرش الحجاز ـ يا صاحب الجلالة ـ اذا سنحت له بادرة بعد النهاية !

***

ويا صاحب الجلالة ـ أغلب الظن أن هذا آخر كلام معك !

فما بقيت بنا حاجة بعد الآن الى توجيه حديث اليك

ما عاد ذلك يجدى !

لقد انتهى دور المحارب بالنسبة لك

ان الابطال وحدهم هم الذين ينتهى دور المحـــارب بالنسبة لهـــم باحدى نتيجتين : الموت أو النصر !

لكنك ـ يا صاحب الجلالة ـ انتهيت ... بغير نصر وبغير موت ان شاء الله

وأنهم ليقولون الآن ان القهر يكاد يطحنك ، لكن تجلد ـ يا صاحب الجلالة

ويا صاحب الجلالة ، طال عمرك ، ووداعا :

فهرس

مطابع الدار القومية

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون { ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤ }

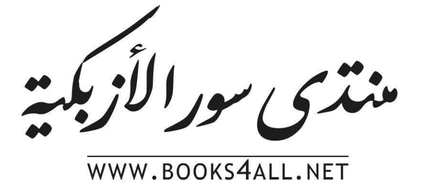


الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عنبر . روض الفرج

[illegible] ٤٠٧٥٣ / ٤١١٢
٤٥١٨ / ١١٤

العدد ٣١٥


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET


Bibliotheca Alexandrina
0407945